مجلة البيان – 24 ، جمادى الآخرة 1410 هـ / يناير 1990م

الافتتاحية

حرب صليبية جديدة

هل ما يجري في فرنسا هذه الأيام هو محـاربة للـحـجــاب الإسلامي فقط ؟ أم هو محاكمة للإسلام نفسه وحرب صليبية جديدة ؟ إن قضية الطالـبـة التي رفضوا تسجيلها في المدرسة بسبب الحجاب ، والطالبات اللاتي أبعدن من المدرسة بـسـبـب الحجــاب ، لازالت هذه القضية مثار جدل واسع في أوساط المجتمع الفرنسي والصحافة الفرنسيـة ، وعلى مستوى الدولة كذلك .

قالت صحيفة (لوبوان): »إذا أرادت فرنسا أن تحافظ على علمانية المدرسة وعلمانية الدولة فإنها لا تستطيع أن تؤخر طويلاً حل الإشكالات الدينية التي يثيرها حضور الإسلام في الغرب« .

وعـلـى مـسـتوى الدولة شهد البرلمان الفرنسي جلسة صاخبة ناقش فيها الـنـواب مـوضـوع الحجاب الإسـلامي وانقـسـمـوا مــا بـيـن مـعـارض وبين من يعتبره تصرفاً تابعاً للحرية الشخصية ولا مانع منه ، كما انقسم الوزراء ؛ فـوزير التربية يرى أن إبعاد الطالبات ليس من أهداف المدرسة ، بينما وزير الدفاع يرى منع الـطـالـبــات من ارتداء الحجاب ، وقال المفكرون رأيهم ؛ فالفيلسوف (أندري فروسار) يرى أن وضع الـحـجــاب على الرأس قضية لاتمس إطلاقاً العلمانية ، بينما يقول (آلان فانكليل) أن قرار منع ارتــداء الحجاب متوافق مع مفهوم العلمانية ، وأعلنت زوجة الرئيس ميتران : »إذا ما ألزم دين ما أتباعه بالامتثال لتعاليم معينة فيجب علينا أن نترك لهم حرية الامتثال«.

وإذا كــان وزيــر الـتـربـية قد حسم الموقف وأعلن عن استعداد المدرسة الفرنسية لاستقبال الحجاب الإسلامي ، وقال : »إن ارتداء الحجاب أو إبراز أي مظهر يوحي إلى انتماء ديني لا يمكنه أن يشكل دافعاً فـعـلــيــاً لطرد التلاميذ من المدرسة« . وكذلك كانت كلمة مجلس الدولة الذي هو أعلى هيئة قضائية إداريـة، لكن قضية محاربة الإسلام نفسه لم تـحـسـم، فموجة العداء للإسلام بدأت تنتعش في فرنسا (وفي أوربا بشكل عام) وخاصة من الأحزاب التي يسمونها يمينية متطرفة ، وقد اتخذوا من الحجاب بداية للهجوم على الإســــــلام والمسلمين في فرنسا ، ويعللون هذا الهجوم بأن هؤلاء المغتربين لم يـنـدمـجــوا في المجتمع الفرنسي ، وهذه كلمة مهذبة ، وقصدهم (لم يذوبوا) في المجتمع الفرنسي أو الغربي .

وخـاضــت بـعـض الأحزاب أو الشخصيات الانتخابات على أساس محاربة الحجاب أو الإســــــلام ، وأصيب هؤلاء الفرنسيون بالسعار ضد المغتربين

المسلمين ، وتحول الأمر إلى عـنـصـريــة مكشوفة وهي أن الجنس الآري يجب أن يبقى نقياً ولذلك لابد من طرد هؤلاء المهاجرين .
وليس عجيباً أن لا يتكلم هؤلاء المتعصبون عن تميز الطلاب اليهود ، وعن مدارس اليهود المستقلة لأن حقيقة هذا السكوت وهذا الولاء ذكرها القران الكريم:((بعضهم أولياء بعض)) [المائدة:51] .
وقد يقول بعض الناس : أنتم تحاكمون دولة غربية نصرانية في موضوع الحجاب ، مع أن هناك دولاً تحكم شعوباً إسلامية وتحارب الحجاب ، ونقول : هذا صحيح ، ونحن هنا نـحـاكــم هـــؤلاء إلى شعاراتهم المرفوعة عن الحرية والديمقراطية وعدم التدخل في شؤون الآخرين الــديــنـيـة والشخصية ، أما الدول التي تحارب الحجاب في ديار الإسلام فهي تحكم بالشريعة التي سماها بعض العلماء بـ (الملك الطبيعي) وهو حمل الناس على مقـتضى الــغـرض والشهوة فــقــط ، وسمى ما عليه أهل الغرب الان بـ (الملك السياسي) وهو حمل الــنـــاس على مقتضى النظر العقلي ، وعلى هذا فهذه الدول لاهي تحكم بالإسلام ، ولا تحكم بالعقل والسياسة والنظام كفعل الغربيين .
إن صـمـــود الـجـالــية الإسلامية في فرنسا لهو شيء مشرف ، ولا شك أن هذه الجاليات الكبيرة في أوربا تستحق الاهتمام والرعاية سواء من بلادهم الأصلية أو من المسلمين بشكل عام ، والتشجيع لإثبات الهوية الإسلامية حتى لا تبتلعهم حضارة أوربا .

ملف التعليم :

عندما فتحنا ملف التعليم في الأعداد السابقة كنا نشعر بخطورة الموضوع وأهميته البالغة، فالطاقات والأجيال يـجــب أن لا تذهــب هدراً بسبب الطرق التقليدية المتبعة مع الصغار والكبار على حد سواء ، وقد شارك بعض الأخوة في هذا المجال ، وكانت مشاركة الدكتور عبد العزيز القارئ حفظه الله ناقداً لـبـعــض مناهج تعليم وتربية أجيال المتفقهين ، كانت محل استحسان ورضى من الجميع ، ولا يــزال الـمـوضـــوع بحاجة إلى إثراء ، ولا يزال موضوع التعليم بشكل عام بحاجة للأقلام المخلصة من أهل الاخـتـصــاص والخبرة والغيرة على أجيالنا ليوضحوا وجهة نظرهم في الطرق المتبعة الآن وخاصة في الـمـراحــل الأولى من التعليم ، وإنها والله لأمانة في أعناق كل مسؤول عن تربية الأجيال ، ماذا تـعـلـــم وكيف تربى ؟ وما هي الوسائل الناجحة ، وحرام أن تذهب سنوات العمر الأولى دون فائدة علمية أو عملية .
وأخيراً نذكّر بقول الدكتور محمد إقبال في أثر التعليم إذا كان موجهاً وجهة غير إسلامية " »إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كيف يـشـاء، إن هذا (الحامض) هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيمائية ، هو الذي يستطيع أن يـحـــول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب«.

وحتى لا تتحول الأجيال إلى كومة تراب لابد من إعادة النظر في مناهج التعليم .

في المنهج والاستدلال

ضرورة الاجتهاد
للمحافظة على مواصفات المجتمع الإسلامي

د . عابد السفياني

ينقسم الاجتهاد إلى واجب شرعاً وجوباً عينياً ، وواجب كفائياً ،وإلى مندوب ، ومكروه ، ومحرم(1). وقد نقل العلماء الثقات عن الصحابة -رضوان الله عليهم- الإجماع على العمل بالقياس وهو نوع من الاجتهاد .
فثبت بذلك وقوع الاجتهاد مـنـهـم -رضوان الله عليهم- ، وأنهم مجمعون على مشروعيته (2).
وأما أقسام الاجتهاد من حيث الحكم التكليفي فهي كما يلى :
الأول : إذا تعين على المجتهد الـنـظـر فـي واقعة لم يجد من يفتي فيها غيره ، أو نزلت بالمجتهد نازلة وخاف فوات الحادثة فإنه يـجـب عليه وجوباً عينياً الاجتهاد على الفور وإن لم يخف فواتها وجب عليه الاجتهاد على التراخي .
وأما الثاني : فهو واجب وجوباً كفائياً إذا قام به البعض سقط عن الباقين .
وأما الثالث : فهو المندوب وهو السؤال عن حادثـة يمكن أن تقع ويحتاج إليها ، مثاله في السنة : ما رواه المقداد بن الأسود أنه قال : »يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلنى فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال : أسلمت لله أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: لا تقـتـله..« الحديث ، وفيه دلالة على جواز السؤال بلفظ »أرأيت« عن المسائل التي يمكن أن تقع (3).
وأما الرابع : فهو المكروه أو المحرم وهو الاشتغال بالمسائل الفرضية التي لا يمكن أن ينبني عليها عمل أو لم تجر العادة بوقوعها (4) .
والإجماع المنعقد على وجوب الاجتهاد ، ومنه وجوب العمل بالقياس وهو نوع منه يتضمن الرد على من يقول بقفل باب الاجتهاد أو يدعو إليه ، ذلك أن الإجماع المنعقد لم يقصر الوجوب على عصر دون عصر ، بل الوجوب على الأمة وهي لا تنقطع في أي عصر إلى سقوط التكليف وذلك بفناء الدنيا ، والإجماع على وجوبه منقول عن الصحابة ، فهو إجماع متقدم ولا عبرة بمخالفة من خالف بعد ذلك ، والمخالف لفرضية الاجتهاد لم يخالف في جميع أنواعه ، بل إن العلماء من الأصوليين نصوا على أن تحقيق المناط ، وهو نوع من الاجتهاد ، لم يقل أحد بانقطاعه .

وأما مخالفتهم في الأنواع الأخرى فهم محجوجون بإجماع الصحابة وأن خلافهم ليس معتبراً ، مع مصادمتهم للبديهيات ، ذلك أن النص إما أن يعلم بدون اجتهاد وذلك مستحيل ، وإما أن يعلم باجتهاد وهو المطلوب ، فالاجتهاد إذاً ضرورة بهذا المعنى ، كما أنه الطريق إلى معرفة عجائب القرآن التي لا تنقضي ... ولم يدرك المجتهدون في العصور المتقدمة كل عجائبه ... ومن ثم كان الاجتهاد ضرورة لفهم النص وتطبيقه ، ولا يسد مسده شيء آخر في فهم أحكام هذه الشريعة .

ولقد أشار الإمام الشافعي إلى حكمة الاجتهاد فبين أنها هي الابتلاء ، وذلك أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل القرآن على هذا النحو ، وكذلك السنة لكي يبتلي عباده فينظر أيجتهدون في طلب الحق مبتعدين عن تأثير الشبهات والشهوات أم يقصرون في طلبه(5) .

ومن الحكمة أيضاً ما أشار إليه الدكتور الأفغاني في كتابه : »الاجتهاد« : وذلك بالنسبة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وبالنسبة لأصحابه .

أما وقوعه من الرسول -صلى الله عليه وسلم- فذلك تعليم للأمة من بعده ، وأما حكمة شرعية الاجتهاد بالنسبة للصحابة في عصره فذلك لتدريبهم وتعليمهم كيفية الاجتهاد وحتى يكونوا مستعدين لحمل الأمانة الكبرى بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي الحكم بما أنزل الله ، وإدخال الحوادث الجديدة تحت أحكام هذه الشريعة حتى يعلم حكم الشرع في كل ما ينزل بالمسلمين وتدريب من بعدهم على ذلك ، ولولا الاجتهاد لزاد عدد الحوادث التي يتصرف فيها المسلمون بآرائهم المحضة أو بقوانين وأعراف غير دينية ، وذلك - مع طول الأمد - سبب من أكبر الأسباب في الانحراف عن شريعة الإسلام (6) .

وأجمل هنا بعض الحكم التي تظهر لي من فرضية الاجتهاد وكونه طريقاً إلى التجديد والنمو والحركة : إن هذا الدين أنزله الله على عباده مفرقاً ولم ينزله جملة واحدة ، قال تعالى : ((وقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ونَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)) [الإسراء:106].

ومعنى فرقناه أي أنزلناه جزءاً جزءاً ولم ننزله جملة واحدة (7) وذلك في بضع وعشرين سنة تثبيتاً للرسول -صلى الله عليه وسلم- ، حيث ينزل لكل حادثة تقع ما يخصها من الأحكام ويتعلمه الناس في غير عجلة ، ويتدرج بهم حتى يربيهم ويفقههم فيقترن العلم بالعمل آية آية وسورة سورة ، ويقع لكل حدث ما يخصه من البيان والتوجيه . وهذا المعنى الذي تحقق في عصر النبوة مازال متحققاً في كل عصر -بعد ذلك - يسير في الطريق نفسه ويسعى للغاية التي خلق العباد من أجلها وهي عبادة الله وحده بلا شريك .

وبيان ذلك : أن المسلمين بعد عصر النبوة يحتاجون إلى بيان الأحكام التي تخص الحوادث التي جاءت في عهدهم ، وهذه الحوادث لم يكن فيها نص بعينها - ولا بد من الرجوع إلى الوحي لمعرفة هذه الأحكام .
ثم تأتي حوادث أخرى تحتاج إلى أحكام فلابد من الرجوع إلى الوحي ، وهكذا في كل عصر وفي كل مكان.
وحين يرجعون في المرة الأولى إنما يستنبطون الحكم للحادثة الأولى ثم يرجعون مرة أخرى وثالثة ورابعة وذلك حسب تجدد الحوادث فيجدون في الوحي العلم والفقه والتربية - وهم يسيرون في الوقت نفسه في طريقهم لا يقفون لحظة واحدة ، تماماً كما كانوا في عصر النبوة : عمل وجهاد وتربية وتعليم ، حتى توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
وهكذا يريد الله هذا الدين بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، دين عمل وجهاد وتربية ، وهذا الجهد في التعريف بالحق ونشره والتفقه فيه وتطبيقه على الحوادث إنما يكون من طائفة من المسلمين بذلت نفسها لتعلم العلم وتعليمه ، كما قال تعالى : ((ومَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ولِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) [التوبة:122] .
فهذا النفير والتفقه والنذارة إنما يصبر عليه طائفة من المسلمين وهؤلاء يبرز منهم أئمة في الدين يهدون به وبه يعدلون ، فينشرونه ويعلمونه للناس ويقيمون به العدل في الأرض ومن العدل استنباط الأحكام لكل حادثة تعن وتطبيقها.
وعند تحقيق ذلك يرفعهم الله درجات ، ويجعلهم منار هداية للناس لا تنقطع ، يتسلمها الناس جيلاً بعد جيل : ((وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)) [السجدة:24] .
وهذا التفقه والنذارة والهداية وإقامة العدل في الأرض لا يكون إلا بالاجتهاد .
أما الذين آمنوا فهم مكلفون جميعاً بإقامة فروض الكفاية ، وذلك بأن يقيموا لكل فرض من فروض الكفاية طائفة منهم ويعينوهم على ذلك (8) ، فإذا سعى المؤمنون في تجهيز طائفة منهم ليتفقهوا في الدين حتى يصلوا إلى درجة الاجتهاد كان ذلك سبباً في رفع منزلتهم عند الله ، وعن هذا الطريق تتحقق الهداية وإقامة العدل الرباني في هذه الأرض ، عن طريق سعي المؤمنين جميعاً ، وتكامل جهودهم ، وتقديم المجتمع لخيارهم ليكونوا هم قادة الناس ، والبناة لمنهج التربية الإسلامية .

الهوامش :

1 - تيسير التحرير 4 / 179 .
2 - جامع بيان العلم وفضله / 66 ، أعلام الموقعين 1 / 217 .

3 - انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله 2/89 وفي الحديث جواب عن قول من منع السؤال عن المسائل الفرضية واشترط وقوعها أولاً ثم الجواب عنها . انظر جامع بيان العلم 2 / 139 ولعل النهي إنما هو مخصوص بما لا يمكن أن يترتب عليه عمل ولا تقتضيه حاجة .
4 - أعلام الموقعين 1 / 69 ، جامع بيان العلم139 .
5 - الرسالة : مسألة رقم 59 .
6 - الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر 309 - 310 .
7 - تفسير ابن كثير 3 / 68 - 9 6 .
8 - الموافقات 1 / 114 .

مصطلحات إسلامية

الإسرَاف

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

السَرَف في كلام العرب له أصل واحد، يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً، تـقـول : في الأمر سَرَف، أي مجاوزة القدر، ويقولون أن السَرَف: الجهل، و السَّرِف:الجاهل.
قال ابن الأعرابي: أسرف: إذا أخطــاء، وأسرف إذا غفل، وأسرف إذا جهل.
قال شمر: سرف الماء ما ذهب منه في غير سقي ، فـيقـال أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفاً ، والسَرَف القصد، سَرِفُ الفؤاد: غافل، سرِف العقل: أي قليل العقل .

المعنى الاصطلاحي :

قال الراغب الأصفهاني: الإســراف تجاوز الحد فـي كل فعل يفعله الإنسان ، وإن كان في الإنفاق أشهر . وقال ابن حجر في الـفـتـح : الإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول. وهو في الإنفاق أشهر .
ومنه فإن الإسراف يكون في الإنفاق وغيره ، يقول تـعـالـى : ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)) [الزمر:39] . ويـقـول فـي شأن الإنفاق : ((وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ)) [الأعراف:31] .
وهكذا فإن الإسراف يشمل كل تجاوز في الأمر ، وقد جاء في الـقـرآن الـكـريـم على معاني متقاربة ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي وهو التجاوز في الحد .

- الإسراف صفة من صفات الكافرين ، يقول تعالى : ((وكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ولَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ)) [طه:127] .
- والإسـراف صفــة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والـمـال ، يـقـول تعالى:((وإنَّ فِرْعَوْنَ لَعَـالٍ فِي الأَرْضِ وإنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ)) [يونس:83] وقال تعالى : ((ولاَ تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ)) [الشعراء:151].
- والإسراف والتبذير يلتقيان في معنى الإنفاق بغير طاعة، ولكن الإسراف أعم من التبذير، لأن الـتـبـذيـر مـعـناه التفريق وأصله إلقاء البذر في الأرض واستعير لكل مضيّع ماله، يقول تعالى: ((إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)) [الإسراء:27].
والإسراف والسفه يلـتقـيان في معرض الغفلة والطيش وخفة النفس ونقصان العقل ، وإن ما يحصل من الـسفـيه في إنـفــاق المال بما لا يرضي الله ليبين الحقيقة في أن السفه سبب من أسباب الإسراف .
ويختلف الإسراف عن الكرم رغم أن كلاً منهما عطاء ، لكن الكرم يكون وفق أصول الشرع, مثل: إطـعــام الـضيـف، وإكرام الفقير، ومنه فإن البخل ضد الكرم، وليس ضد الإسراف وإنما الإسراف ضد الاعتدال والاستقامة ، والإسراف قرين الكبر والمخيلة يظن المسرف أن له فضلاً بإسرافه ، فيصيبه الكبر والبطر . والإسراف كما يكون من الغني ، فقد يكون من الفقير أيضاً ، لأن الإسراف في هذه الحالة أمر نسبي .

من أحكام المصطلح :

قدم الإسلام للـبـشـريـة منهجاً متكاملاً وتصوراً واضحاً عن طبيعة التصرف في جميع شئون الـحـيــاة ، وبين بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها ، ونهى عن الإسراف في شتى صوره .
إن أبــشــع صــور الإسراف عندما يكون في معصية الله والتعدي على حدوده، فهو محرم بالإجماع .
وأما الإنفاق في المباحات فيجب الالتزام بالعدل والاستقامة والتوسط فيها، حتى لا يتحول الإنفاق على المأكل والمشرب والملبس إلى البذخ والتفاخر والتعالي على الـنـاس ، بل إن أشر مواضع الإسراف أن تقام الولائم العظيمة ويدعى إليها الأغنياء ، ويحرم منها الفقراء وإن ما يلقى منها في الفضلات ليشبع خلقاً كثيراً من أهل الحاجة في مناطق المجاعة .
وأما المبالغة في بذل المال طاعة لله وفي سبيله، فلا يكون إسرافاً بالمعنى الإصطـلاحي، وإن كان هذا البذل مشروطاً بأن لا يضيع المنفق من يعول، ويذر ذريته عالة على الـناس ، وقد تصدق أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بكل ماله .

وفي مجال العقوبات والحدود ؛ فإن الشرع قد أقر عقوبات محددة على أفعال معلومة ، ولا يجوز التجاوز في تنفيذها عن حدها المقرر ، وقد شدد الإسلام على الالتزام بهذا المنهج في قوله تعالى : ((وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي القَتْلِ إنَّهُ كَانَ مَنصُوراً)) [الإسراء:33] ، أي لا يتجاوز في القتل إلى غير القاتل من إخوانه وأقربائه كما كان يفعل أهل الجاهلية قديماً ، وكما هو الحال اليوم مع أهل الجهل حيث تنتشر أعمال »الأخذ بالثأر« التي تتعارض مع أحكام الإسلام .
((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ)) [آل عمران:147] .

خواطر في الدعوة

وحدة الصف ووحدة المنهج

محمد العبدة

إذا كانت وحدة العمل الإسلامي من المطالب الملحة عند كثير من الدعاة الذين بدأوا يتحسسون مواطن الخلل ومواطن القوة عند المسلمين ، وإذا كان هذا المطلب مما يأمر به الدين ويحث عليه لأنه من التعاون على البر والتقوى ، فإنه يزداد إلحاحاً في هذه الأيام التي تجري فيها تغيرات في العالم لم تكن بالحسبان ولم يتوقعها أحد ؛ انهيارات في الكتل الشرقية ، وانحسار للشيوعية ، وتقارب بين الغرب والشرق ، والمستفيد حتى الآن هو الغرب الرأسمالي الليبرالي ، وقدمت روسيا تنازلات كثيرة في سبيل التقرب من هذا الغرب ، الذي يمتلك التقنية والمال والسيطرة السياسية ، فمن يقف في وجه هذا التكتل على الأقل من الناحية الحضارية والعقائدية ؟ مَن من شعوب العالم الثالث يملك هوية واضحة ، ومنهجاً متكاملاً ؟ لا يوجد سوى الإسلام ، ومن المفترض أن يقود الشعوب الإسلامية العلماء والدعاة ، وإذا كانوا غير مؤهلين لذلك ولم يستطيعوا الجلوس على مائدة الحوار والتعاون فلمن تترك الساحة ؟
كنت أحاضر في أحد المراكز الإسلامية عن واقع الإسلام اليوم وما يحدث في أوربا هذه الأيام ، وعندما جاء دور الأسئلة أو المناقشة علق أحد الحضور (وأظنه من العمال المتعلمين) قائلاً : »الدنيا سائرة وإذا كنتم تريدون أن يكون للإسلام حضور فيجب أن تبدأوا وتسرعوا ، وإلا فالناس لا ينتظرونكم طويلاً ...« وعجبت من نظرته الواقعية وتذكرت رأي ابن خلدون في أن العوام الذين يملكون الفطرة السليمة والتجربة العملية عندهم القدرة على معرفة الواقع ، وخاصة الواقع السياسي أكثر من أصحاب التنظير المجرد الغارقين في الثقافة الذهنية الباردة ، وتذكرت قول صديق أرسل لي رسالة

قال فيها : »إذا كان المطل (1) ممكناً في الأسلاف المستحقة مالياً فهو متعذر في الاستحقاقات الحضارية« .
وعندما نتكلم عن وحدة الصف ووحـدة العمل الإسلامي فإنما نعني تجمع أصحاب المنهج الواحد ، منهج خير القرون ولـيـس تجمعاً يرضي الجميع مع التساهل في شيء من شريعة الله ، فهذه من مداخل الشيطان التي ظاهرها الخير وتأليف القلوب ، وباطنها تجمع هش لا يصمد في وجه التحديات الداخلية والخارجية .
إن هؤلاء الكفار يمكرون في الليل والـنـهار ولا يملون من كثرة الاجتماعات وكثرة المناقشات وتقليب وجهات النظر للاستقرار على أمر يريدونه .
أيـطـلـب أهل الباطل أمرهم بجد ونحن نـطـلـبـه ببطء وتراخ ؟ وينطبق علينا قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : »اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز المؤمن« .

الهوامش:

(1) المماطلة

أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام

محمد الناصر

تمهيد :

للعادات والتقاليد عـنـد العرب ، أثر عظيم في تنظيم حياتهم الاجتماعية ، ولها سطوة لا يستطيع الفرد أن يتخلى عنها ، وقد تقوم مقام الدين أو القانون .
لقد جاء الإسلام وفي الـعـرب بعــض المزايا الحميدة ، التي لا يمكن إنكارها ، ولكن طابع الشر والظلم والفساد في التصورات والـمـعتقدات كان يطغى على ذلك الخير فيهم ويغمره ، وكانوا بحاجة شديدة إلى نور الوحي ، فـبـعــث الله فيهم رسوله الكريم ، وأمره أن يبشر وينذر ، ويتحمل في سبيل ذلك ضروباً من المجادلة والتعب والأذى .
ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا : إن تلك المحاسن والمناقب هي من بقايا دين إبراهيم الخليل وولده إسماعيل -عليهما السلام- ، بقيت بين العرب بشكل أو بآخر (1) ، وهذا ما نجده في قوله - صلى الله عليه وسلم- : »إنمـا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق« (2) .
والواقع أن القيم الرفيعة والخلال الحميدة ، انـتـشـرت بـيـن الـعـرب في الجاهلية انتشاراً واسعاً ، عجت بها أشعارهم ، وسارت فيها أخبارهم ، وكان من هــذه الخلال ما اجتمعوا عليها أو كادوا ، وكان منها ما تحلى بها الكثير منهم .

ومن أهم ما اجتمعوا عليه ثلاث : الكرم والشجاعة والغيرة . وأما التي تحلى بها الكثير منهم فمنها : العفة والترفع عن الدنايا ، ومنها الصدق والوفاء ، ومنها حفظ السر والترفع عن جليس السوء . . ومنها الحلم والرزانة وغير ذلك .
على أن القوم ساد بينهم بعض القيم الوضيعة والأخلاق الذميمة ، فكما كان منهم الأوفياء الصادقون ، كان منهم الغدارون والكذابون ، وكما كان منهم الأوفياء وحفظة العهود ؛ كان منهم الخونة واللصوص والبخلاء (3).
وسوف أستعرض -بإذنه تعالى- هذه القيم كما صورها الشعر الجاهلي موضحاً نماذج - تتسع لها صفحات المجلة - من الأخلاق السامية والذميمة . ثم أستعرض مدى التغيير أو التعديل ، أو التقويم الذي جاء به الإسلام مما ينسجم مع هديه ومعتقداته ، وأختم حديثي عن موقفنا من هذه الأخلاق ، ومدى تطبيق مجتمعاتنا المعاصرة لهذه القيم ، بعد تجليتها في الجاهلية والإسلام .

1- الكرم :

بواعث الكرم في العصر الجاهلي :

لقد تميز العرب بإكرام الضيف ، وتاهوا بهذه المكرمة ، وافتخروا بها على الأمم ، ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية ، وما فيها من إجداب وإمحال ، حيث »كان العرب يعيشون في بادية شحيحة بالزاد وحياتهم ترحال وتجوال ، وكل واحد منهم معرض لأن ينفذ زاده ، فهو يقري ضيفه اليوم لأنه سيضطر إلى أن يضيف عند غيره في يوم ، فليس في البادية ملجأ يلجأ الفرد إليه غير الخيام المضروبة هنا وهناك ، ملاجئ ملاجئ تعتبر قوارب النجاة . . والعرف أن الضيافة ثلاثة أيام ، وثلاث ليال ، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة إلا إذا جدد المضيف وزاد عليها« (4) .
على أن العرب كانوا يكرمون الضيف لكلفهم بحسن الأحدوثة وطيب الثناء ، ولأنهم ذوو أريحية تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج وإطعام الجائع .. وكان المال وسيلة عندهم لا غاية ، وسيلة إلى كسب المحامد .
كان الكرم وسيلة هامة من وسائل السيادة .. يقول حاتم الطائى :

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد   وما كنت لولا ما تقولون سيدا (5)

والعربي ينكر البخل ، لأنه مزر بأخلاق الرجال ، وواضع من عوالي الصفات . . فالشاعر عمرو بن الأهتم يدعو زوجته لأن تدع لومه لبذله المال ، فهو يشفق على الحسب الذي رفع بناءه ، والكرام يتقون الذم ببذل القرى ، ثم يتطرق إلى ضيف طرقه ليلاً وكيف رحب به ، ويصف لنا ذلك اللقاء :

ذريني فإن البخلَ يا أمَ هيثم   لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطي في هواي فإنني   على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوته   وقد حل من نجم الشتاء خفوق

فـقتلت له:أهلاً وسهلاً ومرحباً فـهـذا صـبــوح راهــن وصــديــق
وكـل كـريم يتـقي الـذم بالقرى وللـخـيـر بـيـن الـصالحـين طـريق
لـعـمـرك ما ضاقـت بـلاد بأهلها ولـكـن أخـلاق الرجـال تضـيـق (6)
صورة رائعة من صور الكرم عند العربي ، يستقبل ضيفه بالترحاب والطعام ،وهو يتقي الذم والقالة ؛ بالإطعام والقِرى .
لقد أصبح الكرم عند كثير من العرب طبعاً وسجية ، إذ ملك عليهم نفوسهم حتى أن حاتم الطائي يخاطب زوجته ويوصيها إذا صنعت له الطعام ، أن تطلب له ضيفاً ليشاركه فيه ، فهو لا يريد أن يأكل وحده مخافة أن يتحدث الناس عنه بالبخل بعد موته . فهو يقول :
أيا ابـنـة عـبـد الله وابــنــةَ مالك ويا ابنةَ ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صـنـعتِ الزاد فالتمـسـي له أكـيـلاً فـإنـي لسـت آكـلـه وحـدي
أخـاً طـارقـاً أو جـارَ بـيـت فـإنني أخاف مذماتِ الأحاديث من بعدي
وإنـي لـعـبـد الـضـيـف مادام ثاوياً ومـا فيَّ إلا تـلـك من شـيـمـةِ العبد (7)

مظاهر الكرم عند العرب وصدق تطبيقهم لهذا الخلق (8) :

بالغ العرب في الحفاوة بالضيف والتعهد له ، وتفننوا في إكرامه ، وتلمس الأسباب التي تدخل على نفسه السرور ، ومن ذلك بسط الوجه له ومضاحكته والترحيب به ساعة قدومه حتى يأنس وينزل وهو مطمئن . يقول عمرو بن الأهتم :
وضاحكته من قبل عرفاني اسمه ليأنس،إني للكسير رفيق (9)
بل كانوا يقدمون له أشهى ما يملكون ، مع إيناسهم له . قالوا:"اتمام الضيافة : الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث عند المؤاكلة" .
ولن يتلهى العربي عن ضيفه حتى ولا بالزوجة والولد . يقول عروة بن الورد :
فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولـم يلـهـنـي عـنـه غـزال مـقــنع
أحادثـه إن الـحـديـث من الـقـرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع(10)
وكانوا خير رفيق لصاحب الطريق ، لا يختصون أنفسهم دونه بمال أو بظهر أو بماء .
وعرف بعض الأجواد بكرمهم ، ومن أجواد العرب أزواد الركب وهم ثلاثة من قريش ، وإنما قيل لهم أزواد الركب ، لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزود معهم أحد ، ولم يسم بذلك غير هؤلاء الثلاثة ، وهم : مسافر بن أبي عمرو من بني عبد شمس ، وأبو أمية المغيرة من بني مخزوم ، وزمعة بن الأسود بن المطلب (11) .
ومن صدق تطبيقهم لهذا الخلق تعميم الدعوة إلى الطعام ليحضره كل من له إليه حاجة ، ومن شؤونهم التي تدعو إلى العجب و الإكبار حبهم لكلابهم بسبب ما كان يجلبه نباحها من الأضياف وضلال الطريق من المسافرين .

ومن مظاهر كرمهم العجيبة هداية الضيوف ليلاً بالنار التي يوقدونها لإنضاج الطعام ، أو للاستدفاء ، وكانوا يوقدونها على المرتفعات لتكون أبين وأوضح .
يقول حاتم الطائي لغلامه في ليلة باردة الريح :

أوقـد فـإن الليـل ليـل قـــرُّ والـريح يـا غـلام ريـح صـــر
إن جلبت ضيفـاً فـأنت حــر (12)

الإسلام والكرم :

جاء الإسلام فأقر هذا الخلق الكريم ، وشجع على البذل والسخاء ، وحث على إكرام الضيف ، إلا أنه جعل إخلاص النية لرب العالمين يرتفع بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة متقبلة . قال تعالى : ((إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً ولا شُكُوراً)) [الإنسان:9] .
وابتعد الإسلام في هديه عن المن والأذى والرياء ، قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ والأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ولا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ)) [البقرة:264] .
وحث الإسلام على البذل إلا أنه نهى عن الإسراف والتبذير ((إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً)) [الإسراء:27] .
ونفر من الشح وكنز الأموال ، فقد روى البخاري في صحيحه : »ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه ، فإذا فر منه سمع من يناديه : خذ كنزك الذي خبأت فأنا عنه غني، فإذا رأى أنه لابد له منه سلك يده في فمه فيقضمها قضم الفحل« .
فهذه الأموال والكنوز المستخفية في الخزائن أشبه بالثعابين الكامنة في جحورها كأنها رصيد الأذى لأصحابها ، بل إنها تتحول إلى حيات فعلاً تطارد صاحبها لتقضم يده التي غلبها الشح ومنع حق المسلمين فيها .
والمسلم كريم يؤثر إخوانه على نفسه ، ويقدم من كسبه الحلال الطيب إلى إخوته الأتقياء ، ولا يغدق أمواله بسخاء على غيرهم ولا يرضى أن يكون بقرة حلوباً لسفلة القوم من الملحدين الطغام اتقاء شرهم (13) .
وهذا ما يصوره الحديث الشريف إذ يقول -عليه الصلاة والسلام- : » لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي« (14).

الجود والعطاء عند الرعيل الأول من هذه الأمة :

إن الجود والسخاء يتمثلان فيمن اصطفي الله من عباده كالنبيين والصديقين ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود بالخير من الريح المرسلة ، ولذا فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى »وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليداً ، وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير« (15) .
وقد حث رسول الله أصحابه على الإنفاق في سبيل الله ورغبهم في السخاء فكانوا يصدرون عن طبع أصيل وسجية محبة للخير . قال تعالى : ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) [آل عمران:92] .

وكان بذل الصحابة مضرب الأمثال ، فقد أخرج الشيخان عن أنس -رضي الله عنه- : وقد تصدق أبو طلحة -رضي الله عنه- بعين بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) قام أبو طلحة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، وذكر الآية ثم قال : إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله ، أرجو برها و ذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله . قال : فقال رسول الله : »بخٍ! ذلك مال رابح ! ذلك مال رابح« (16) .
ولما نزلت الآية الكريمة:((مَن ذَا الَذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً)) [البقرة: 245] قال أبو الدحداح -رضي الله عنه-: يارسول الله قد أقرضت ربي حائطي ، وفيه ستمائة نخلة ، فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى يا أم الدحداح ، قالت:لبيك ، قال:اخرجي فقد أقرضته ربي«(17) .
وكان الجود والسخاء من أبرز صفات المؤمنين طوال القرون واشتهر أجواد في الإسلام أنسوا الناس ذكر حاتم الطائي وابن سعدى وكعبة بن مامة (18) وغيرهم مثل أجواد الحجاز الثلاثة : عبيد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص (19) .

تنفير الإسلام من ظاهرة الشح :

حذر الإسلام من البخل لأنه يقطع الأواصر ، ويحبط الأعمال ، ولا يورث إلا التباعد والتحاسد .
عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : »اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم«(20) .
وقال تعالى : ((ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) .

ظاهرة الشح في الحضارة الحديثة :

مما سبق يتبين لنا أن العربي كريم في جاهليته ، جواد سخي في إسلامه ، على اختلاف الدوافع والنوايا ، أما أدعياء الحضارة الحديثة فلا يفهمون هذه القيم ، إذ لا يهتم المفتون منهم بحضارة الإفرنج إلا لمصلحته الخاصة ، فإذا هو يعاني خواء روحياً وجفافاً عاطفياً ، نتج عنهما شعور عميق بالحرمان من الصداقة والأصدقاء المخلصين . .
لقد غاب عن الأذهان في حضارة هذا القرن ، الإيثار والتضحية بين الأهل والجيران وذلك بسبب لوثة هذه المدنية الحديثة... فالأنانية طاغية ، والتبرم سائد ، رغم كثرة الأموال ، لكنه الهلع من شبح الفقر ، والخوف على فوات الملذات .
إن النفس الشحيحة لن يصدر عنها خير ، والنفس المجدبة لن تستطيع التأثير والإفادة ، ولو زعم صاحبها أنه من كبار الدعاة إلى الله .

الواجب على المربين أن يغرسوا خلق السخاء والكرم في نفوس الناشئة ، فالنفس التي تعود على البذل ، ستكون بإذن الله نفساً خيرة معطاء ، مجاهدة في سبيل ربها ، مرتفعة على شهوات الدنيا ، وجواذب الأرض الهابطة .
ستكون هذه النفس مشاعل خير نيرة ، تضيء الطريق أمام صحوة جادة على طريق الرعيل الأول بإذن الله . والحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

1 - انظر : أدب الحنيفية : رسالة ماجستير ، أم القرى ، حبيب بن حنش الزهراني ، ص 381 ـ 383 .
2- رواه الإمام أحمد في مسنده : 2 / 381 .
3 - انظر رسالة المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي ، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى 1402 هـ ، محمد الشيخ محمود صيام .
4 - تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي 4 / 575 .
5 - ديوان حاتم : ط . بيروت ، ص 8 .
6 - المفضليات : رقم القصيدة (23) ، ص 125.
7 - ديوان حاتم الطائي ، ص 3 4 ، ط . بيروت 63 9 1 م ، ونسبها المبرد إلى قيس بن عاصم المنقري في كتابه الكامل.
8 - انظر تفصيلاً لذلك في : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، الموفي ، ص 311 - 232 ، والعقائد والقيم في الشعر الجاهلي ، ص 309-328 .
9 - الأشباه والنظائر : 2 / 100 .
10 - الديوان : ص 101 .
11 -انظر : بلوغ الأرب للآلوسي : 1 / 91 - 92 .
12 - انظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص 316 - 318 ، وبلوغ الأرب 1/6.
13 - انظر شخصية المسلم : د . محمد علي الهاشمي ، ص 143-213 .
14 - رواه أبو داود و الترمذي .
15 - انظر حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد 1 / 300 .
16 - انظر : حياة الصحابة : 2 / 157 .
17 - انظر : المصدر السابق 2 / 62 1 ، وقال الهيثمي 9 / 4 32 : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات .
18 - وكانا مضرب المثل في الجود ، يقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :
فما كعب بن مامة وابن سعدى بأوفى منك يا عمر الجوادا
19 - انظر بلوغ الأرب : 1 / 4 9 - 99 .
20 - رواه مسلم : 2578 كتاب البر والصلة .

من أدب الحوار

إنما أعظكم بواحدة

عبد العزيز بن ناصر السعد

تكلم الكاتب في الحلقة الـسـابـقة عن الأصل الأول: أن تقوموا الله . ويتابع هنا عن الأصل الثاني : ثم تتفكروا ..

الأصل الثاني : العلم ،

ويدخل تحته التفصيلات التالية :

1ـ الاتفاق :

على منهج الاستدلال والتلقي قبل البدء فـي نـقــاش أي مسألة علمية لأن النقاش والمنهج مختلف سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة ، وســــوف لا يسلم أي طرف لما عند الطرف الآخر من دليل أو استنباط ، وحتى تتضح هذه المسالة أكثر نضرب لذلك بعض الصور كما ذكــرها الشاطبي في (الاعتصام ، الباب الرابع) تحـت عـنـوان : مـآخـذ أهـل الـبـدع فـي الاستدلال فذكر منها (باختصار) :

أ - أن مـن أهـــل البدع من منهجه الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أحياناً في العقائد والأحكام وهذا المأخذ مرفوض عند أهل السنة لأنهم لا يرضون الاستدلال بالضعيف فضلاً عن الـمــوضــوع في باب العقائد والأحكام فإذا لم يتفق مع الطرف المحاور على هذا المنهج فلن يفلح الحوار في أي نتيجة لأن الأدلة التي سيشترك بها الطرف الآخر مرفوضة ابتداء من الطرف الثاني لعدم ثبوتها عنده .

ب - ومن أهل الـبـدع مـن هـــو عكس الصورة السابقة حيث يرفض الاستدلال بالأحاديث الصحيحة بحجة أنها آحاد ولا يقبل من ذلك إلا المتواتر ، وهذا المنهج مرفوض أيضاً عند أهل السنة حيث أن الدليل إذا ثـبـتـت صـحـتـه أصبح صالحاً للاستدلال ولو كان آحاداً ، وبدون الاتفاق على هذا المنهج ابتداءً فلن يفـلــح الحوار في أي نتيجة . إذن فمن الأولى في مثل هذه الحالات وقبل طرح الأدلة ودلالتها عـن الـمـقـصــود لابد من الاتفاق على قبول الاستدلال بأحاديث الآحاد .

ج - كما أن هناك من أهل البدع من منهجه الاحتجاج بأقوال شيخه أو إمامه والتعصب لها ، ونبذ أي دليل يخالف ذلك بل إن بعض الملل المبتدعة من يرون أن أقوال أئمتهم ومشايخهم هي التشريع بذاته وممكن أن يأخذ الحلال والحرام من أقوالهم بل إن لهم نسخ الشريعة وتحليل الحرام أو تحريم الحلال فإذا لم يتفق على خطاء هذا المنهج وأن ما جاء في الكتاب والسنة هو الأصل وكل ما خالفهما مرفوض مهما كان قائله فإنه لا فائدة من النقاش .

د- ومن أهل البدع من يعتمد في استدلاله على الرؤى والمكاشفات فيصحح بهما الضعيف ويضعف الصحيح ويحلل ويحرم ويشرع بهما ما لم يأذن به الله ، فإذا لم يتفق ابتداءً على ضلال وخطأ هذا الاستدلال فلن يفلح الحوار ولن تتحقق أهدافه أبداً ، وصور مآخذ أهل البدع في الاستدلال كثيرة من أراد التوسع فيها فليرجع إلى الباب المذكور في الاعتصام فإنه مفيد جداً .

2- مراعاة تفاوت الناس في عقولهم وثقافاتهم :

فالعلم بما عند الطرف الآخر من علم وثقافة يعين على اختيار الأسلوب والمعلومات التي تناسب عقله وحصيلته العلمية ، فتحديث الناس بما يعقلون أمر مهم في الحوار لأن عدم مراعاة ذلك يحصل بسببه فتنة وتشويش للطرف الآخر ينعكس أثره على إيجابية الحوار.

3- البيان وحسن العرض :

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان والعرض من العوامل في إيضاح الفكرة وأدلتها ، ومما يكون له أكبر الأثر على قبول الطرف الآخر للفكرة ، وإقناعه بحسن الاستدلال عليها ، وهنا يجب تجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم أو الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها .

4- البدء بمواطن الاتفاق والنقاط المشتركة :

إن البدء بنقاط الاتفاق لدى الطرفين كالمسلمات والبديهيات وغيرها من الأمور المتفق عليها كل ذلك يقلل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين ويحس كل منهما أن هوة الخلاف قليلة ، وهذا له مردوده النفسي في الحوار وبالتالي فإن البدء بنقاط الخلاف يوسع فجوة الخلاف ولو من الناحية النفسية ولذلك يحرص أن يلقى على الطرف الآخر الأسئلة التي سيكون جوابها "بنعم" ويتجنب ما يكون جوابه النفي لأن كلمة " لا" عقبة كؤد يصعب التراجع عنها ، والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة فمثلاً في سورة المؤمنون يقول تعالى : ((قُل لِّمَنِ الأَرْضُ ومَن فِيهَا إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيْهِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)) فهنا نجد أن الله -سبحانه وتعالى- ألقى عليهم الأسئلة التي يعرف جوابهم عليها مسبقاً لكي يصل إلى تقرير توحيد الألوهية لأن ما وافقوا عليه مستلزم لما أنكروه .

5- التوثيق :

ينبغي أن تكون مسائل الحوار موثقة من الناحية العلمية والإسنادية فلا يستدل بشيء إلا مسنداً لقائله ومصدره الذي أخذه منه وأن يستعان بذكر الإحصائيات التي تخدم الفكرة والمراجع التي رجع إليها لأن ذكر الحقائق

مدعمة بذكر المصادر والإحصائيات الموثقة أعمق أثراً في النفوس من ذكرها مجردة ، كما ينبغي في مثل هذه الحالات الإعراض عن النقول الضعيفة والحجج الواهية .

6- عدم تعرض أحد الطرفين لكلام الآخر ومناقشته قبل فهم مراده تماماً :

والتفكير العميق في أدلته ثبوتاً ودلالة وأن لا يقدم على تصحيح فكرة ما أو تخطئتها قبل التأكد من ذلك تماماً .

7 - الإحاطة بمواطن الخلاف :

في القضية المطروحة للحوار والإلمام بأنواع الاختلاف ما يجوز فيه وما لا يجوز ، لأن جهل هذا الأمر يوسع دائرة الاختلاف فيحصل الاختلاف والفرقة حول مسألة قد يسع الخلاف فيها والاجتهاد ، كما ينبغي الإلمام بأسباب الاختلاف بين علماء الأمة والتي ذكرها شيخ الإسلام في رسالته القيمة "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" .

وفي هذه المناسبة ينبغي الإشارة إلى مسائل الخلاف ، وأنواعها ، وما هو المحمود منها ، وما هو المذموم ، وما هي المسائل التي يسعها الخلاف ، والمسائل التي لا يسعها ، إلى آخر ذلك مما يتعلق بموضوع الاختلاف ، فنقول وبالله التوفيق . إن الاختلاف ينقسم إلى قسمين :

1 - قسم يحمد فيه أحد الطرفين ويذم الطرف الآخر مثل الاختلاف الواقع بين المؤمنين والكافرين ، أو بين أهل السنة وأرباب البدع وهذا القسم الاختلاف فيه هو المذكور في قوله تعالى : ((ولَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ ومِنْهُم مَّن كَفَرَ)) ، وكقوله تعالى : ((هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)) . فكل ما يتصل بقضايا العقيدة وأصولها والتي لم يختلف عليها سلف الأمة وإنما ظهر الاختلاف واستشرى بعدهم فهو داخل تحت هذا القسم.

2 - قسم يذم فيه الطرفان المختلفان إذا سبب هذا الإختلاف الفرقة والعداوة ، ويحمد فيه الطرف الذي لم يجعل هذا الاختلاف سبباً في الفرقة والمفاصلة ، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وسع السلف -رحمهم الله تعالى- ، ولم يحصل بينهم بسببه افتراق ولا بغضاء ، فكل ما وسع السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- فيما اختلفوا فيه فيجب أن يسعنا ، ويندرج تحت هذا القسم عدة صور نجملها فيما يلي .

أ - اختلاف في تحديد موضوع الخلاف : وذلك بأن نجد أحد المختلفين قد ذهب إلى موضوع من النزاع غير ما ذهب إليه الآخر فذاك سماه باصطلاح معين والآخر سماه باسم آخر فظهر أن هناك اختلافاً والحقيقة غير ذلك فلو حددت المصطلحات ودقق في المعاني والألفاظ لظهر أن هناك اتفاقاً وليس اختلافاً , وهذا الأمر لا يأتي إلا بالتفكير الهادئ مع الإخلاص لله -عز وجل- .

ب - قد يتضح بعد التفكير وتحديد موضع النزاع أن هناك اختلافاً لكن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد بمعنى أن المعنى الكلي ليس فيه خلاف إنما الخلاف في تنوع آحاد هذا الكلي وتعدد الأمثلة التي تحته كمن يذهب إلى معنى جزئي وآخر يذهب إلى معنى جزئي آخر يندرج كلاهما تحت المعنى العام الكلي ، مثال ذلك تفسير (الصراط المستقيم) في قوله تعالى ((اهدنا الصراط المستقيم)) فقائل بأنه القرآن وآخر أنه الإسلام وآخر أنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكل هذه المعاني لا اختلاف بينها لأن مرادها واحد وكل قول داخل تحت الآخر .

ج - وهذه الصورة من الاختلاف الذي وسع السلف -رحمهم الله تعالى- بأن يكون المعنيان متغايرين لكن ليس بينهما منافاة لأن هذا قول صحيح ورد فيه دليل وذاك قول صحيح ورد فيه دليل أيضاً ولا يجوز أن يكون هذا سبباً في الاختلاف ، وهذا كثير في المنازعات لعدم معرفة أحد الطرفين بما عند الآخر من دليل ، ومثال ذلك الاختلاف في صفة الإقامة للصلاة فمن قائل بشفعها وقائل بإفرادها والاختلاف في القراءات . . . الخ .

وكل ما ورد في الشريعة عليه دليل صحيح ووسع السلف الصالح فإنه لا يجوز أن يكون سبباً في الاختلاف المؤدي إلى الفرقة و التباغض ، وهذا بالطبع لا يأتي إلا نتيجة التفكير والبحث وعدم التعجل في رد قول المخالف إلا بعد الاطلاع على كل ما يتعلق بالموضوع من أدلة واستنباطات ، فقد يتضح بعد البحث أن كلا القولين ثابت وصحيح عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبذلك ينتهي الخلاف .

د - الخلاف حول قضية معينة ورد الدليل عليها وأورد المخالف دليلاً آخر مخالفاً لها لكن أحد الدليلين أقوى من الآخر وأرجح ، فهذا أيضاً لا ينبغي أن يكون سبباً في الفرقة لأن ما وسع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأئمة السلف ينبغي أن يسعنا ، وهذا يقع في كثير من الأحكام التي اختلف فيها العلماء وعندما يعلم أن هؤلاء الأئمة ما اختلفوا لهوى في نفوسهم بل وقف كل منهم مع ما عنده من الدليل فربما وصل أحدهم ما لم يصل الآخر أو صح عنده ما لم يصح عند غيره كما بين ذلك شيخ الإسلام في رسالته : (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ولكن مع ذلك فالواجب في هذه الحالة العمل بالدليل الراجح وترك المرجوح عند من تبين له ذلك بوجه شرعي .

ولكن هذا لا يعني موافقة من يأخذ بالأقوال الشاذة أو بعض سقطات العلماء والتي يكون الدليل على خلافها بل الواجب تصحيح المخالف وإرجاعه إلى الدليل وتوضيح وجه الشذوذ فيما أخذ به لأن هناك من يقول (أي قضية لم يجمع عليها الصحابة فالأمر فيها واسع) وهذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه فقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله-

في رسالة له لم تطبع بعد ، كلاماً جيداً حول هذا الأمر ننقل منه المناسب لموضوعنا . يقول -رحمه الله تعالى- :
"وأما احتجاجه بقول النووي إن العلماء إنما ينكرون على من خالف ما أجمع عليه وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأنه على أحد المذهبين : كل مجتهد مصيب . قال : وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم . انتهى ما حكاه ، فيقال في جوابه : أنت لم تستكمل عبارة النووي بل تصرفت فيها وأخذت ما تهوى وتركت بقية العبارة لأنه عليك مع اتصالها وتقييد بعضها ببعض . قال النووي بعدما تقدم : لكن إن أريد به على جهة النصيحة أي الخروج من الخلاف فهذا حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق فإن العلماء متفقون على الحث إلى الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بالسنة أو وقوع في خلاف آخر . هذا كلام النووي فقد استبان لك أن مراده إذا لم يظهر دليل ولم يترجح جانب الأفكار بكتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي .. وأما أقوال الآحاد من العلماء فليست بحجة إذا لم يقترن بها دليل شرعي ومازال العلماء يردون على من هو أجل منه" أ.هـ.
وبعد هذا التفصيل فيما يجوز الاختلاف فيه ومالا يجوز ، نتوجه إلى جميع المختلفين أن يقفوا وقفة مع نفوسهم ، ويسأل كل واحد منهم نفسه أو صاحبه ومن يخلص له النصح والتذكرة : أين نحن من أنواع الاختلاف ، وأين نحن من البغي والاعتداء في الخلاف ، وأين نحن من أدب الخلاف وأخلاقه ، وما كانت الأمة لتفترق إلا بسبب البغي والحسد والجهل فلنقف مع موعظة الله -عز وجل- لنا ومع ما جاءنا به القرآن الحكيم والذي جعله الله لنا هدى وشفاء ورحمة وموعظة : ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)) .

8- أن يعطى كل طرف في الحوار راحته وحريته في التعبير عن فكرته والاحاطة بها من جميع الوجوه لأن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار وترابطها و اضطرابتها .

9- لا أعلم :

وذلك بأن يكون عند أصحاب الحوار من الإخلاص والخوف من الله -عز وجل- بأن يقول لا أعلم عند السؤال عن مسألة لا يعلمها أو لم يبحثها بحثاً كافياً ، وأن لا يستحيي من ذلك وأن يطلب الإمهال حتى لقاء آخر ليأتي بالجواب عنها إن وجد جواباً .

10 -التفريق بين الفكرة وصاحبها :

وذلك بأن يتم تناول الفكرة المطروحة بالبحث والتحليل والنقد أو التزكية بعيداً عن صاحبها حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية تناقش فيها تصرفات الأشخاص ونواياهم ولكن في بعض الأحوال ينبغي تناول أصحاب الأفكار

أنفسهم بالجرح والتعديل حسب مقاييس أهل السنة وذلك عندما نخشى ضلالاتهم أو تأثر الناس بأفكارهم ولكن كل ذلك يتم بإخلاص وإنصاف .

11 - إقفال المناقشة :

عندما تتسع شقة الاختلاف أو يتضح أثناء النقاش أن هناك أموراً أساسية برزت لم يتم التحضير لها أو لا يكفي الوقت لمناقشتها فيحسن في مثل هذه الأحوال إقفال النقاش وتأجيله إلى وقت آخر يتم التحضير والاستعداد الجيد له ، كما ينبغي قفل النقاش عندما يتبين أن الطرف الآخر في الحوار غير جاد أو مستهتر أو كان دون المستوى المطلوب للخوض في القضايا المعدة للحوار .

الأصل الثالث :ظروف الحوار والمتحاورين

وهذا هو الأصل الثالث الذي يراعى عند الحوار والمناظرة وقد أشارت الآية الكريمة إلى جانب من ذلك عند قوله تعالى ((مثنى وفرادى)) وسنشير هنا - إن شاء الله تعالى- إلى بعض الجوانب التي تتعلق بظروف الحوار لأن إلغاءها يؤثر كثيراً على طبيعة الحوار ونتيجته ، ومن هذه الجوانب ما يلي :

1 -مراعاة الجو المحيط بالحوار :

ويقصد بالجو هنا الجو النفسي والمؤثرات المحيطة بالحوار وذلك كما في الآية الكريمة حيث يوجه الله -عز وجل- طلاب الحق أن يبتعدوا عن الأجواء الجماعية والغوغائية لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية بينما لو قام الإنسان مع نفسه أو مع شخص آخر للتفكير حول قضية ما فإنه أقرب إلى إصابة الحق منه في الاجتماعات الكبيرة وبقدر ما يقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقاد إلى الحق عند ظهوره .

2 -مراعاة الجو الحسي للحوار :

وذلك من حيث البرودة والحرارة والاتساع والضيق .. الخ ، لأن وجود ما يؤذي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش وخسارة ، وقد يبتر النقاش أو يختصر دون وصول إلى نتيجة وذلك حتى يبتعد عن ما يؤذي في مكان الحوار كذلك مما يتعلق بهذا الجانب اختيار المكان الهادئ وإتاحةِ الزمن الكافي للحوار فلا تصلح أماكن الدراسة والعمل والأسواق للحوار أبداً وذلك لضيق الوقت ولوجود ما يشغل .

3-مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف المحاوَر أو المحاوِر:

فلا يصلح أبداً أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي لتعب أو حاجة لنوم أو بسبب جوع أو يعاني من إرهاق نفسي كهم أو غم أو حزن لأن هذه الظروف لابد أن تؤثر حتماً على الحوار إما بتره قبل تمامه أو حدوث انفعالات وغضب وتوتر يؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع .

4 - أهمية المحادثة الأولى والتعارف الذي يسبق الحوار :
إن المحادثات الأولى والتعارف الأول على الطرف المحاور يساعد على سهولة البدء في المناظرة وسيرها فيما بعد بالشكل المناسب ، إذ من الصعب أن يبتدأ مباشرة بالحوار مع أشخاص لم يتم أي تعارف ولو بسيط معهم . لأن في جلسة التعارف هذه فائدة في التعرف على طبيعة الطرف الآخر ولو بشكل مبدئي من خلال مظهره وحديثه ونبرات صوته وحصيلته العلمية مما يكون له الأثر في معرفة الظروف النفسية والميولات الذهنية للشخص المحاور ، وهذا بدوره يساعد في طريقة وأسلوب الحوار مع الناس كل حسب ظروفه ، ويمكن أن تتم جلسة التعارف هذه على شكل دعوة غداء أو عشاء يتم فيه أحاديث غير رسمية عن الصحة والعمل والأولاد وعن رأيه في الكتاب الفلاني وفي الفكرة الفلانية ، وعن أي أمر عام ليس له علاقة بموضوع الحوار . فهذه الطريقة على أي حال أفضل بكثير من أن يفاجأ المرء بأشخاص لم يضع لهم في ذهنه أي تقدير لهم ولظروفهم فيؤدي إلى فشل الحوار كأن يخبر على أن الشخص لطيف وسهل التعامل وحليم ويفاجأ بالعكس تماماً .

5 - أن يكون المتحاوران متقاربين ما أمكن في العلم والجاه وأن يتجنب مناظرة ذي هيبة يخشى أن يستحي من مناظرته لئلا يؤثر ذلك على قوة الحجة والجرأة على الإدلاء بها .

6 - ينبغي اجتماع أصحاب الحوار في مكان واحد وتقابلهما فيه وأن ينظر بعضهم للآخر لأن رؤية الوجوه والملامح له أثر في قوة الحجة أو ضعفها وفي هذه الحالة لا تصلح المراسلات للحوار ولا يصلح كذلك الحوار بواسطة الهاتف .

7 - مراعاة الآداب الإسلامية (القولي منها والعملي) ، والذي يكون له مردوده النفسي على أطراف الحوار وسلامة قلوبهم وصفائها ، والانقياد للحق عند ظهوره ، ومن هذه الآداب :
أ- احترام الطرف الآخر والتأدب معه وحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ ، وعدم السخرية برأيه ، وأن يثني عليه بما فيه ، وفكرته من الإيجابيات والخير الكثير .
ب - التلطف في العبارات أثناء الحوار ، فبعض العبارات قد تفتح مغاليق النفوس وهي يسيرة على من يسرها الله عليه من الكلمة الطيبة التي تقرب النفوس وتزيل الجفوة وتهيء النفوس لاستقبال الحق ، والأمثلة في ذلك كثيرة كمناداة الطرف الآخر بكنيته وإذا كان أكبر سناً أو علماً بياأستاذي وشيخي .. اسمح لي .. عفواً .
ج -ابتسم في وجه محدثك وأطلق أسارير الوجه أثناء الحوار فهذا يضفي على الحوار جو الألفة والأنس .

د - اجتنب الغضب ما أمكن ولو عارضك الطرف الآخر أو أغلظ القول لك ، واستخدم الرفق واللين .
هـ -تجنب اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر فالنفس غالباً لا تتحمل قول (أخطأت) أو (سأثبت لك أنك مخطئ) أو (أنا أخالفك في الرأي) فهذه الألفاظ قد تجرح عند بعض الناس كبرياءه وشخصيته .
لكن عندما يبدو الخطأ فيمكن معالجته بمثل قولك : لكن أرى رأياً آخر قد أكون مخطئاً فيه ، أو لعلك تصلح لي خطأي . وإذا كان الخطأ يمكن إصلاحه ببعض الإضافات فتقول: هل لك أن تفعل هذا أو ما رأيك في إضافة هذه العبارة . . أو ما المانع لو اتفقنا على هذا التعديل . . الخ .
7- التحدي والإفحام : وهذا الأسلوب يلجأ إليه المماحكين الذين همهم الجدال والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الناس فمثل هؤلاء لا ينفع معهم اللين والرفق وإنما الذي ينبغي في حقهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ الذين قد ضلل بسببهم وذلك حتى تدحض حجتهم وتسقط هيبتهم من النفوس وتبين وهن فكرتهم واضطرابها . لكن ينبغي لمن أراد مناظرتهم أن يكون على مستوى من العلم والذكاء والشجاعة بحيث لا يؤتى من قبل قلة علمه أو سطحيته أو نحو ذلك .
8- المحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجة :
تحديد هدف الحوار قبل الدخول فيه أمر مهم والمحافظة على الهدف أثناء الحوار أيضاً أمر مهم لأن ذلك يحافظ على التركيز وعدم الخروج عن موضوع الحوار بمناقشة جزئيات أو أمور جانبية بعيدة عن موضوع الحوار مما يكون له الأثر في ضياع الوقت وعدم الوصول إلى نتيجة في آخر الأمر .
وبعد:
فهذه جملة في أصول الحوار وآدابه أعرضها على علاتها ونقصها لعلها تفتح المجال لعلماء الأمة ودعاتها بأن يفصلوا الأمر حول هذا الموضوع ويكملوا ما نقص منه ، فالمسلمون في حاجة ماسة إلى استقصائه وإتمامه .
كما أسأل الله -عز وجل- أن ينفع بهذا الحديث القلوب المخلصة التي أدمتها الخلافات وخيم اليأس على بعضهم ، ولعل الأخوة الذين صاروا أعداء وهم أقرب الناس بعضهم إلى بعض أن يقوموا لله -عز وجل- ويتفكروا مع أنفسهم أو مع بعضهم البعض وأن يحفظ كل واحد منهم حق أخيه ويعلم وإن كان مخطئاً في شيء فقد أصاب في أشياء أكثر مادام أنه من أهل السنة وأتباع السلف .
فيا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - ويا محبي محمد - صلى الله عليه وسلم - جردوا أنفسكم لله تعالى واقتدوا بسلف الأمة الذين كانوا حريصين على جمع الكلمة وسلامة القلوب ، وكان أبغض شئ لديهم الفرقة والاختلاف ، فهذا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عندما قيل له : أن عثمان بن عفان

أتمَّ بالمسلمين في منى وكانت السنة القصر ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم لم يمنعه ذلك من أن يأتم بعثمان ويتم الصلاة معه أربعاً ، فلما قيل له في ذلك قال : إن الخلاف شر . فحري بمن أحب السلف والتزم بمنهجهم أن يلتزم بمنهجهم الشامل في الاعتقاد والسلوك ، وما تم عرضه في هذا البحث يمثل إن شاء الله تعالى بعض آداب السلف الصالح في حوارهم واختلافهم وهي بدورها الآداب التي هدانا الشرع إليها لنخرج من الاختلاف الذي قدره الله تعالى على كل أمة ، وأن لا نستسلم لهذا الاختلاف بل ننازعه بقدر الله -عز وجل- وأسبابه الشرعية التي شرعها الله لنا والتي لا سبيل للنجاة والخلوص من الشرور إلا بالرجوع إليها ، ومن سلك سبيل الهدى وصدق مع الله -عز وجل- في طلبه للجماعة والائتلاف يسر الله له سبيله وألف بينه وبين إخوانه من الدعاة الصادقين ، ومن سلك سبيل الضلال من الزيغ والفرقة والاختلاف أضل الله سبيله وأزاغه عن الهدى ((والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)) ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

شذرات وقطوف

الجرأة على الأمور

إن الذي يورث جيل الإفرنج الإقدام على الأمور والكلام ، هو تعويدهم الجرأة في الأمور ، فإن إلقاء الرعب في قلب الصغير كلوافح الرياح العاصفة على الغرس ، فلا يمكن بعد ذلك أن يصلح للمسائل الجليلة .

أحمد فارس الشدياق

***

طـرائف

قال أحد الأدباء : أمور ثلاثة عجلت هرمي :

1 - أن يحضر كل الضيوف دعوتك ماعدا واحداً تضطر إلى انتظاره .

2 - أن تضع زوجك الصحون على المائدة وابنك الذي أرسلته ليأتي ببعض الحاجات من السوق ما يزال غائباً .

3 - أن يذهب ضيوفك جميعاً إلا واحداً، إنه ذلك الذي سكت طوال السهرة فلما أراد أن يودعك عند الباب بدأ يتكلم ، وتشعر وهو يحدثك أن حديثه ليس له نهاية .

***

آفة المزاح

قال سعيد بن العاص لابنه :

اقـتـصـد فـي مـزاحـك فـالإفـراط فيه يذهب بالبهاء، ويجرئ عليك السفهاء،وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين .

***

متى؟!

القاضي عبد الوهاب المالكي

متى يصل العطاش إلى ارتــواء إذا استقــت البحار من الركايا
ومن يَثني الأصاغــر عن مـرادٍ وقــد جلـس الأكابـر في الزوايـا
وأن تَـرفَّع الوضـعـاء يـومـــــاً عـلـى الرفَّعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعـالي فـقـد طـابـت مـنـادمة المـنـايــا

تربية

على طريق الإصلاح النفسي

عثمان جمعة ضميرية

صلاح القلب أساس لصلاح الفرد :

لعل أعظم ما في هذا الإنسان وأشرفه ، هـو القلب الذي يفقه به ، ويتعرف من خلاله على خالقه -سبحانه وتعالى- . ولذلك نعى الله تـعـالـى على أولئك الذين وهبهم القلب فعطلوه عن الفقه والفهم ، فقال : ((ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِـيــراً مِّــنَ الجِــنِّ والإنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ولَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِـكَ كَـالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ)) [الأعراف:179] .

وقد جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا القلب وصلاحه سبباً لصلاح الإنسان ، كما أن فساده سبب لفساد الإنسان فقال : "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صـلـحـت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب"(1) .

والقلب الحي السليم أصل كل خير وسعادة وحياة : ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)) [الأنعام:122] .

أقسام الناس في هذا القلب :

والناس في هذا القلب ثلاثة أصناف :

- قسم ألهمه الله رشده ، وأسـعـده بمعرفته ، وهدى قلبه ، فجعله سالماً من أن يكون فيه شـائـبـة مـن شـوائب الـشــرك ، بل أصبح خالصاً لله تعالى في عبوديته : إرادة ومحبة ، وتوكلاً وإنابة ، وخشية ورجاءً ، وعملاً ومتابعة .

وهذا القلب هو الذي ينفع صاحبه يوم القيامة : ((يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ * إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء:89] .

- وقسم استهوته الشياطين ، فأخلد إلى الأرض ، وكأنه تجرد من إنسانيته ، وأقام على حيوانيته ، فمات قلبه وأصبح لا يعرف حياة ولا نوراً ، فحقت عليه كلمة العذاب ، وكان من الغاوين : ((واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [الأعراف: 75-76] ، ((أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ)) [الزمر: 19] .

- وقسم ثالث ؛ له قلب به هدى وإيمان ورشد ، شرح الله صدره للإسلام فعرف الله بعض المعرفة ، ولكنه وقع تحت سيطرة بعض الشهوات فهو يغالبها ، والشيطان يزين له السوء والرغبات ، فهذا الصنف من الناس ينازع الخير والشر ، وكثيراً ما يشعر المؤمن هنا بحلاوة المجاهدة ، إذ المجاهد من جاهد نفسه في الله . ويشعر بمرارة الهزيمة أمام الشيطان ، فهو بحاجة إلى جرعات من المضادات ، بحاجة إلى معالجة الأعراض التي قد تبدو عليه فتكون مؤشراً على خطر كبير ومرض قد يستعصي علاجه ما لم نبادره بذلك .

فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين :

قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً (منكوساً) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشْرب من هواه . وقلب أبيض ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض"(2).

المجاهدة وإصلاح القلب :

وما أحوجنا إلى أن نجاهد أنفسنا وأن نجاهد الشيطان ، وما أحوجنا إلى أن نجلو قلوبنا ، وأن نسأل الله تعالى أن يثبتها وأن يصرفها إلى طاعته ، فقد ورد في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : "ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه ، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه" .

وفي رواية : "والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة" (3) .

وفي حديث آخر : "مثل القلوب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الريح ظهراً لبطن" (4) .

طرق الإصلاح :

ولعله مما يساعدنا على ذلك أن نتبصر بعيوبنا ، ونتعرف على أمراض نفوسنا وقلوبنا ، ليكون ذلك سبيلاً إلى علاجها ودوائها ، ومن أراد ذلك - وينبغي له أن يفعل - فإن أمامه أربع طرق :

الطريق الأول : العلم الذي يبصرنا بذلك ويوضح الطريق أمامنا ، فهو الكشاف الذي يكشف لنا خبايا العلل . وسبيل ذلك والطريق إليه هو : مصاحبة كتاب الله تعالى ومدارسته ، ومدارسة حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتأسي به واتباعه .

والطريق الثاني : أن تطلب لك أخاً ناصحاً شفيقاً ، وصديقاً صدوقاً ، يبصرك بعيوبك ، ويرى أن ذلك واجب عليه يفرضه الإسلام عملاً بقوله -عليه الصلاة والسلام-: "الدين النصيحة .قالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال:لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (5).

وقد كان أمير المؤمنين الفاروق عمر -رضي الله عنه- يقول : رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا . ولنذكر أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن .

الطريق الثالث : أن تنظر إلى ما يقوله فيك خصومك ، فإنهم يتلمسون لك المعايب ، فلا تأس على فعلهم ذاك ، فإنهم بهذا يعرفونك بعيوب نفسك التي قد تغفل أنت عنها ، أما هم فلا يسكتون . وقديماً قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

والطريق الرابع : مخالطة الناس ومعايشتهم ، فإذا رأيت منهم مالا تحمده من الصفات التي نهى الله تعالى ورسوله عنها فخذ نفسك بالابتعاد عنها والحذر منها ، وتحل بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي تحبها في الناس وتحببك أنت إليهم .

فهلا حاولت ذلك أيها المسلم وجربت وجاهدت نفسك ليكتب الله تعالى لك الهداية إلى السبيل الأقوم وإلى الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ((والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)) [العنكبوت:69].

الهوامش :

1- متفق عليه .
2- رواه مسلم .
3- أخرجه أحمد وابن ماجه والبغوي بإسناد صحيح .
4- أخرجه مسلم .
5- أخرجه مسلم .

اقتصاد

صندوق النقد الدولي

ومديونية العالم الثالث (*)

حمد سليمان البازعي

تعتبر مشكلة الديون الخارجية لدول العالم الثالث من أهم المشاكل التي تهدد استقرار الاقتصاد العالمي ، لذا تجمع دول العالم على ضرورة إيجاد حل لهذه المشكلة ، لكن هذه الدول تختلف على كيفية الحل . فمن دول ترى أن من الأنسب إعفاء الدول المدينة من ديونها ، إلى دول ترى أن الأنسب تشجيع الدول المدينة على الوفاء بالتزاماتها عن طريق إقراضها قروضاً جديدة حتى تتمكن من سداد الديون القائمة . وهذا الإقرار لابد أن يتم عن طريق المؤسسات المتخصصة ، أو يخضع على الأقل لإشرافها . ومن هذه المؤسسات صندوق النقد الدولي والذي سنعرض في هذه المقالة - بإيجاز - لدوره في هذه المشكلة .
لكن قبل ذلك لابد من مقدمة عن :

حجم ديون العالم الثالث :

تميز عقد السبعينات الميلادي من هذا القرن بأنه عقد التنمية قامت فيه دول العالم الثالث ـ رغبة في الانطلاق من حلقة التخلف المفرغة ـ بمشاريع جبارة تطلبت رؤوس أموال ضخمة ، ولم يكن أمام هذه الدول من وسيلة لتمويل هذه المشاريع سوى الاقتراض الخارجي ، خصوصاً من الدول المتقدمة وبنوكها ، لكن هذا الاقتراض لم يجلب معه ما كان مؤملاً من نمو وزيادة ، وإنما أوقع هذه الدول في شرك المديونية ، فالدخل الناتج من هذه المشاريع لا يكفي لسداد الأموال المقترضة مما استدعى الاقتراض لسداد الديون القائمة وهكذا .
وبنظرة عاجلة لأرقام ديون العالم الثالث نرى أنها وصلت إلى أرقام خيالية ، فطبقاً لإحصاءات الأمم المتحدة ، زادت هذه الديون من 722 بليون دولار في عام 1982 إلى 890.6 بليون دولار في عام 1985، ثم قفزت إلى 117 بليون دولار في عام 1988 ، أي بمعدل زيادة سنوية قدرها 24 % .
وبنسبة هذه الديون إلى مجمل إنتاج دول العالم الثالث من سلع وخدمات نجدها بلغت في عام 1982 ، 35.9% ، كما بلغت 45.2% في عام 1985 ، أما في عام 1988 فقد بلغت 47.4% ، وهكذا فإن هذه الديون تستهلك ما معدله 43% من مجمل إنتاج هذه الدول ، ويعتبر هذا استنزافاً لثرواتها في وقت هي أشد ما تكون حجة إليه ، لكن لصورة تبدو أكثر إيلاماً عند نسبة هذه الديون إلى مجمل إيرادات الصادرات في الدول المدينة ، فقد بلغت هذه النسبة لعينة من 112 دولة 166 % عام 1958 ، أما في عام 1988 فقد بلغت هذه النسبة 189.7 % (*) ، أي إن مجمل إيرادات صادرات هذه لدول لا تكفي ـ أو بمعنى أصح لا تغطي ـ سداد ثلث هذه الديون .

وقد يتساءل القارئ الكريم : ما سبب هذه الزيادة الخيالية في حجم هذه الديون ؟ والجواب على ذلك يتطلب تحليلاً لكل العوامل التي يعتقد الاقتصاديون أنه وراء هذه لزيادة ، وهذا خارج عن نطق هذه المقالة إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة العابرة إلى أهم هذه العوامل ، وهي :
1ـ ارتفاع أسعار واردات دول العالم الثالث ، وبخاصة أسعار السلع الرأسمالية ، والتي تعتبر أساساً لانطلاق عملية التنمية ، هذا الارتفاع صوحب بانخفاض في أسعار صادرات هذه الدول ، أو على الأقل بقاءها على ما هي عليه مما جعل الحاجة ماسة لتمويل الفرق بالاقتراض الخارجي .
2- سياسات التوسع في الإقراض من قبل البنوك الغربية ، حيث وجدت هذه البنوك نفسها تحتفظ بفوائض عالية وذلك بفضل الفوائض المسماة بـ"الدولابترولية" هذه الفوائض جعلت الحاجة ماسة للبحث عن أسواق مربحة لتصريفها ، وكان سوق العالم الثالث هو الأكثر ترشيحاً لاستقطاب هذه الفوائض ، وهذا الإقراض يتم غالباً على أساس أسعار فائدة (تتغير حسب سعر السوق) وتحت شروط قاسية .
3- الارتفاع المذهل لأسعار الفائدة ، وخصوصاً في بداية الثمانينات حيث تجاوزت أسعار الفائدة معدل 20% مما أدى إلى الزيادة في عبء خدمة هذه الديون . بالإضافة إلى ارتفاع سعر صرف الدولار (عملة تقويم الديون) مقابل عملات كثير من الدول المدينة مما زاد في قيمة الديون الفعلية .
4 -الكساد الذي عم الدول الصناعية خلال الفترة ما بين 1981 -1983 مما انعكس سلباً على دخول دول العالم الثالث وذلك من خلال :
أ- انخفاض طلب الدول الصناعية على منتجات تلك الدول .
ب- هذا الانخفاض في الطلب أدى إلى انخفاض في أسعار تلك المنتجات .
ج- لجوء الدول الصناعية إلى سياسات الحماية كفرض التعاريف الجمركية ، مما أدى إلى صعوبة دخول منتجات دول العالم الثالث إلى أسواق هذه الدول .
كل هذه العوامل الأربعة ساهمت بتفاقم أزمة المديونية ، التي باتت تهدد استقرار الاقتصاد العالمي ، وقد بلغت هذه الأزمة حد الانفجار في شهر أغسطس من عام 1982 م عندما أعلنت المكسيك (ثاني أكبر دولة مدينة في العالم بعد البرازيل) أن احتياطياتها قد شارفت على النضوب ، وأنه ليس باستطاعتها الوفاء بالتزاماتها .
في تلك الأثناء برز صندوق النقد الدولي كعامل حسم في علاقة الدول الدائنة مع الدول المدينة .

دور صندوق النقد الدولي :

أنشئ صندوق النقد الدولي في عام 1944 م بموجب اتفاقية بريتون وودز(2) ، وطبقاً لهذه الاتفاقية فقد انحصرت مهمة الصندوق في :

1 - وقوفه مستعداً لإقراض أي دولة عضو تعاني من عجز في ميزانها التجاري مع العالم الخارجي ، في حين أن تبني أي سياسة داخلية لمعالجة هذا العجز (كتخفيض الإنفاق الحكومي مثلاً) يمكن أن يؤدي إلى آثار سلبية على مستوى العمالة في الداخل (3) .
2 - مراقبة التزام الدول الأعضاء بنظام أسعار الصرف الثابتة والمقرة في تلك الاتفاقية (4).
استمر الصندوق في ممارسة مهمتيه هاتين حتى انهارت اتفاقية أسعار الصرف الثابتة فعلياً عام 1971 فتغيرت تبعاً لذلك مهمة الصندوق ، وبدأ الصندوق منذ ذلك الحين بمهمة من نوع جديد وهي الإقراض لا بغرض تصحيح الاختلال الطارئ على الموازين التجارية للدول الأعضاء ، وإنما لمعالجة الاختلالات الهيكلية في اقتصادياتها . بذلك بدأ الصندوق يمارس دوراً أكبر بدخوله شريكاً مع الدول المقترضة في تقرير السياسات الاقتصادية ، والتي يجب على الأخيرة الأخذ بها . هذه السياسة غالباً ما يطلق عليها سياسة : "التقشف" أو السياسات المشروطة ولم يأت هذا الدور طبيعياً ومن دون معارضة ، وإنما أتى مفروضاً من قبل الدول المتقدمة ، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي ارتأت أن إقراض الدول الغربية أو بنوكها لدول العالم الثالث لا يعطي للدول الدائنة الحق في إملاء شروطها على الحكومات المدينة ، ولو فرض أن هذه الأخيرة قبلت هذه الشروط فإن شعوبها من الممكن أن لاترضى بوصاية دولة أجنبية في تقرير سياسة داخلية . لذا كان الصندوق من أفضل من يقوم بهذا الدور دون إثارة الحساسية الوطنية ، فأصبح الصندوق بذلك ملجأ للدول الباحثة عن قروض، لكن هذه القروض غالباً ما تكون مصحوبة بإملاء السياسات الاقتصادية التي يجب على الدولة المستفيدة الأخذ بها . ومن هذه السياسات :
1 - رفع القيود المفروضة على أسواق السلع والعملات ، والعمل على جعل هذه الأسواق حرة كما تفترض النظرية الاقتصادية .
2 - تخفيض سعر صرف العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية .
3-تخفيض القيمة الفعلية للأجور .
بالإضافة إلى هذا الدور يعتبر الصندوق جهة حكم وتقييم لمقدرة الدول المدينة على السداد والوفاء بالتزاماتها. فالصندوق تبعاً لذلك يقوم بمهمة تصنيف الدول حسب قدرتها على السداد . فالدولة التي يصنفها الصندوق على أنها دولة "موثوقة" تجد من السهل الحصول على ما تريد من قروض سواء من الصندوق مباشرة ، أو من غيره من الدول(5) . هذه الثقة تحصل عليها الدولة بتمسكها بحرفية شروط الصندوق وسياساته . أما الدولة التي ترى الأولوية لمصلحة غالبية شعبها فإنها ستجد من الصعب -إن لم يكن من المستحيل - تطبيق شروط الصندوق، وبذا تصل الثقة بمثل هذه الدولة إلى أدنى درجاتها.

ويصبح من العسير على مثلها الحصول على معونة أو قرض ، لذا أصبح الصندوق عاملاً محدداً لغرض دول العالم الثالث في الحصول على قروض .

نقد دور الصندوق :

إن للصندوق دوراً مهماً في تقرير السياسات الاقتصادية على المستوى الدولي . ونظراً لحجم وأهمية هذا الدور فقد حظي هذا الدور وآثاره بدراسات مستفيضة .

ونظراً لأن سياسات الصندوق قد جربت في كثير من دول العالم الثالث فقد كانت هذه السياسات وآثارها ولازالت محل دراسات متعددة لتقييم هذه الآثار .

هذه الدراسات دلت على نتائج متطابقة في كثير من الأحيان ، متعارضة في أحيان أخرى ، فأغلب هذه الدراسات ترى أن دور الصندوق ممثلاً بسياساته هو دور سلبي في مجمله فلم ينتج عن توصيات الصندوق لمعظم دول العالم الثالث سوى غرقها في ديون أصبح من العسير الانعتاق منها ، كما أدت إلى الكساد وإعاقة النمو .

وحتى في الحالات النادرة التي يستشهد بها على أنها نجاح للصندوق في مهمته ؛ لا يمكن الجزم بأن نتائج سياسات الصندوق كانت كلها محبذة . وحتى النتائج الإيجابية منها لم تكن بمستوى ما بشر به الصندوق وخبراؤه(6) ؛ فمثلاً يلاحظ أن كثيراً من الدول المستفيدة من خدمات الصندوق وجدت نفسها قد تورطت في إنتاج لا يتمشى مع أولوياتها واستيراد استهلاكي حمّل ميزان مدفوعاتها عبئاً قد فاق حجم ما حصلت عليه من معونة!

هذه النتائج -لكثير من المراقبين - تعتبر غير مستغربة وإلا فماذا يمكن أن تنتظره دول العالم الثالث من مؤسسة أنشئت ونظمت بطريقة تضمن سيطرة العالم الغربي عليها؟

وبنظرة سريعة لتوزيع أوزان الأصوات في نظام الصندوق يبدو ذلك جلياً ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تتحكم بأكثر من عشرين بالمائة من الأصوات ، وأوربا الغربية بثمان وعشرين بالمائة . أما دول العالم الثالث فتتحكم فقط بحوالي ثلث الأصوات على حين أن عددها يبلغ ثلاثة أرباع الأعضاء !

وباختصار يرى كثير من المراقبين أن سياسات الصندوق لم تؤد إلى النتائج المأمولة ، بل أدت إلى العكس من ذلك . ومن أهم السلبيات التي نجمت عن تطبيق مثل هذه السياسات ما يلي:

1 - استنزاف موارد الدول النامية من خلال إيقاعها في شرك المديونية .
2 - تكريس التبعية لدول الغرب بأن أصبح كثير من دول العالم الثالث يدور في فلكها وتحت رحمة بنوكها.

الصندوق والاستقرار السياسي في العالم الثالث :

كان من آثار سياسات الصندوق الاقتصادية ما امتد إلى الجانب السياسي ، ويكاد يجمع كثير من كتاب دول العالم الثالث على ربط المناخ السياسي المتأزم في كثير من هذه الدول بتدخل الصندوق في تقرير السياسات الاقتصادية الداخلية ، فكما مر معنا يشترط الصندوق على الدولة طالبة القرض أن تتبنى السياسات الخاصة بحد النفقات الحكومية ، وذلك برفع الإعانات عن السلف الضرورية وتخفيض الدعم الحكومي للإنتاج المحلي مما يؤدي إلى رفع الأسعار . كما أن اشتراط تخفيض قيمة العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية يؤدي إلى رفع أسعار السلع المستوردة التي تمثل بالنسبة لكثير من هذه الدول مخرجاً من محدودية الإنتاج المحلي مما يعيق برامج التنمية . كما إن ارتفاع أسعار هذه السلع يجعلها بعيدة عن متناول (وأحياناً حتى عن نظر) غالبية السكان .

من هذه المنطلقات النظرية نرى أن سياسات الصندوق تحمل غالبية السكان من ذوي الدخول القليلة عبئاً ليس باستطاعتهم تحمله . وحتى لو تحملت هذه الجموع بتأثير حملة دعائية تعدها بنيل فردوس الصندوق المزعوم ؟ سرعان ما يبلغ السيل الزبى فتنطلق هذه الجموع بمظاهرات وأعمال عنف تبرماً بالوضع القائم ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لذكرها ، لكن يكفينا - كمثال - ما حدث في فنزويلا قبل بضعة شهور فبعد اتفاق فنزويلا مع الصندوق رفعت الحكومة الدعم عن كثير من السلع الضرورية تشكل قوت غالبية السكان ، كما سرحت الحكومة عدداً من موظفيها تخفيضاً وحَدّاً لنفقاتها فكانت النتيجة أن خرجت مظاهرات عنيفة خلفت وراءها مئات القتلى والجرحى .

وكمثال على أن سياسات الصندوق تجعل العبء على غالبية السكان دون الصفوة الغنية ما حدث في بيرو في بداية الثمانينات فخلال ثلاث سنوات ومنذ العام 1980م فُقد حوالي مليون فرصة عمل كما أن أجور الوظائف الباقية انخفضت بشكل كبير . أما في البرازيل -أكبر دولة مدينة حالياً بـ(115) بليون دولار - فقد انخفض معدل الأجر الحقيقي بحوالي الربع عما كان عليه في عام 1980(7).

هذه السياسات ساهمت وتساهم في تأزيم المناخ السياسي في دول العالم الثالث ، مما يجعل الدول الرأسمالية - في النهاية - هي المستفيدة الوحيدة ، فاضطراب المناخ السياسي يجعل رؤوس الأموال في دول العالم الثالث تهاجر إلى حيث الاستقرار المزعوم في الدول الرأسمالية . هذه الأموال المهربة والمسروقة من أفواه الجوعى والمستنزفة من موارد هذه الدول تساهم في تكريس تبعية دول العالم الثالث للغرب الرأسمالى . وباختصار شديد: إن تدخل الصندوق في تقرير السياسات الداخلية لدولة معناه شل مقدرة هذه الدولة على اتخاذ القرار ، حيث ينتقل مكان صنعه من العاصمة المحلية إلى واشنطن حيث مقر الصندوق .

وختاماً نعلق بالتالي :
إن فشل الصندوق في تقديم المعونة المثمرة والاستشارة المفيدة يرجع بشكل أساسي إلى الأسس النظرية التي قامت عليه سياسات الصندوق ، فعوائق التنمية تتمثل ـ طبقاً لهذه الأسس ـ في نقص المدخرات . فما على الدولة الراغبة في الانطلاق إلى عالم أرحب حيث النمو والتنمية سوى شد الأحزمة أو الاقتراض من الخارج إن لم تجد عملية شد الأحزمة ، لذا فمشكلة الصندوق تكمن في فشله في الإحاطة بجوانب التنمية المتعددة . فالتنمية عملية حضارية معقدة ، ومن غير الممكن تبسيطها من خلال علاقات رياضية ، ومن ثم تتركها لميكانيكية السوق هذه العملية تقتضي إخضاع طرائق الانتاج والتفكير لاحتياجات المجتمع وليس العكس كما أن الطريق إلى ذلك ليس بالضرورة أن يكون تكراراً للتجربة العربية . فالطريق الذي سلكته الدول الغربية للنمو ليس الطريق الوحيد كما أنه ليس بالأمثل وبشكل أدق : إن لكل دولة ظروفها التي تملي عليها طريقاً معيناً دون سواه .

الهوامش :
*- يحرص الكاتب الكريم على استخدام كلمة "مديونية" وهي لغة غلط ، وإن كان أهل الاقتصاد والقانون يستخدمونها بكثرة ، ويمكن أن تسد كلمة دين وديون مسدّها .
1- الأرقام مأخوذة عن : 1989 .
2 - سميت هذه الاتفاقية باتفاقية (بريتون وودز) نسبة إلى المدينة التي عقدت فيها الاجتماعات التي توصلت إلى هذه الاتفاقية . المدينة تقع في ولاية نيوها مشير بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وقع على هذه الاتفاقية أربع وأربعون دولة اعتبرت أعضاءاً في الصندوق ، إلا أن عدد الأعضاء كان في تزايد مستمر . ويبلغ الآن (151) دولة منها بعض دول المعسكر الشرقي ؛ كبولندا ويوغوسلافيا ، ورومانيا .
3 - اكتسب هذا الاجراء أهمية متزايدة خصوصاً من تجربة الدول الغربية المريرة مع البطالة والتضخم في فترة ما بين الحربين العالميتين ، فلقد تمخض عن هذه التجربة أن محاربة هاتين المشكلتين لن يكون عن طريق ميكانيكية السوق وحدها بل لابد من تدخل هذه الدول لذا حرصت هذه الدول في اتفاقيتها المنشئة للصندوق أن تتمتع بالمرونة في تبني السياسات الكفيلة بإعادة التوازن لاقتصادياتها داخلياً وخارجياً .
4 - اتفق على ربط عملات الدول الأعضاء بأسعار صرف ثابتة مقابل الدولار والذي ربط بسعر ثابت بالذهب. على أن تحتفظ كل دولة إما بالدولار أو الذهب كاحتياطي نظامي بحيث تقف أي دولة مستعدة لشراء أو بيع عملتها مقابل هاتين العملتين . أما الولايات المتحدة فقد نصت الاتفاقية أن تحتفظ

بالذهب فقط كاحتياطي نظامي وأن تقف مستعدة لبيع وشراء ما تريده الدول الأخرى وذلك بالسعر الرسمي للدولار مقابل الذهب .
5 - لاحظ مدير الصندوق في دراسة اعدت في عام 1983 أن كل دولار يقرضه الصندوق يؤدي في المقابل إلى إقراض تجاري قدره أربعة دولارات . وهذا يعطي دلالة واضحة على أهمية دور الصندوق في حصول الدول النامية على قروض .
6 - معظم الدراسات التي توصلت إلى أن للصندوق دوراً إيجابياً كانت عبارة عن دراسات قام بها خبراء الصندوق أنفسهم ، لكن كثيراً من الباحثين المستقلين يرجعون مثل هذه النتائج إلى اعتماد هؤلاء على إحصاءات رسمية من قبل الحكومات ، ويشكك هؤلاء الباحثون في مدى صحة مثل هذه الإحصاءات . بل على العكس من هذه النتائج الإيجابية يرى هؤلاء الباحثون أن دراساتهم دلت على نتائج سلبية كزيادة في معدلات التضخم وانخفاض في نصيب العمل في الدخل العام .
7 - ومن الأمثلة على ذلك من العالم العربي ما حدث في مصر وتونس والجزائر وأخيراً الأردن . فالمظاهرات التي انطلقت في كل دولة من هذه الدول كانت احتجاجاً على ارتفاع الأسعار خصوصاً أسعار السلع الضرورية قوت غالبية السكان . هذا الارتفاع جاء نتيجة لتطبيق توصيات الصندوق والتي يعتبر تطبيقها متطلباً أساسياً لأهلية الدولة للحصول على القروض .

منبر الشباب

فاعتبروا يا أولي الأبصار

موزة بنت محمد

عندما تمر عليك آية من كتاب الله الـذي لا يأتـيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تدعو أو تأمر بتفكر أو أخذ عبرة . . فلابد لك من التوقـف والنظـر ولا يجوز أن تمر عليها بدون ذلـك وتـكـون كـمـن قـال فـيهـم -عز وجل:((أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُـهَـا)) [محمد:24].
وقال تعالى ((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * هُوَ الَذِي أَخْرَجَ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِـن دِيَـارِهِـمْ لأَوَّلِ الحَـشْـرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَـسِـبُــوا وقَــذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ)) [الحشر:1ـ2].
هذا أمر ودعوة من الله -عز وجل- إلى عباده ((أولي الأبصار)) ، الذين يبصرون ويفقهون ، وليس إلى الذين قال عنهم : ((لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا

ولَهُمْ أَعـْـيُـنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ)) [الأعراف:179] .
دعوة لهم للنظر بعين البصيرة والاعتبار لهذا الحادث والذي نورده هـنـا وهو قصة إجلاء بني النضير عن المدينة المنورة وذلك كما ورد في السيرة .
كان سبب ذلك الجلاء أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا سبعين رجلاً ، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر انتقاماً لأصحابه ، وكان مع القتيلين عهد وأمان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يعلم به عمرو فلما رجع وأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : " لقد قتلت رجلين لأودينهما " وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، فلما أتاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعينهم قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك أحدهم فصعد البيت ليلقي عليه الصخرة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي -رضي الله عنهم- فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ثم تبعه أصحابه حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتهيؤ لحربهم ، فسار حتى نزل بهم فتحصنوا منه بالحصون واستمر حصاره لهم عدة أيام اختلفت في عددها . وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول لله - صلى الله عليه وسلم - أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح ، ففعل ، وتم إجلاؤهم على ذلك .
يتصور الكثير منا أن اليهود في المدينة المنورة ما كانوا سوى قوم مستضعفين لاحول لهم ولا قوة ، اللهم إلا في الدسائس وإشعال نار الفتنة من خلف الستار .، وبهذا التصور لا يكون إخراجهم أمراً يستدعي الاعتبار والتبصر ولكن الحقيقة ليست كذلك وهذا ما يدل عليه سياق الآية الكريمة .
يقول الدكتور صابر طعيمة : "من الأشياء التي تثير الدهشة أنه في بدء دعوة الإسلام كانت أرض العرب في منطقة الحجاز مقسمة قسمة عجيبة بين نفوذ العرب ونفوذ اليهود و سيطرتهم ، ففي بدء بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت قوة اليهود الاقتصادية والسياسية كبيرة ومزعجة في شمال الحجاز ، ولقد بلغت القوة اليهودية في السيطرة على شمال الحجاز ما تعادل

به نفوذ قريش وقوتها في جنوبه . ويمكن القول إن سيطرة قريش كانت تشمل جنوبي الحجاز من منطقة يثرب (المدينة) حتى الطائف وكذلك كان نفوذ اليهود يمتد من شمال الحجاز إلى حد يمكن معه القول إن هذا النفوذ كان يمتد من المدينة حتى تيماء في أقص حدود الحجاز الشمالية ملتقياً بحدود سوريا لمسافة تقدر الان بحوالى 450 كيلو متراً " .
وما يهمنا هنا هو منطقة يثرب (المدينة المنورة) فلقد كانت تسكنها قبائل يهود "بني قينقاع" و "بني النضير" و "بني قريظة" ويبين الدكتور محمد السيد الوكيل مواقعهم فيقول : "واننا لنلاحظ أن هؤلاء قد انتشروا في يثرب ولم يقيموا جميعا في منطقة واحدة فيها " فقد استوطن " بنو النضير " أسفل المدينة و " بنو قريظة " نزلوا بأعلى المدينة أما "بنو قينقاع" فقد نزلوا في وسط يثرب بين العالية والسافلة ، وهكذا أحاط اليهود بقبائلهم الثلاث بيثرب من أعلاها وأسفلها وفيما حولها من الشرق والغرب ، وكأنهم أرادوا بهذا الانتشار في المدينة أموراً قد خططوا لها من قديم الزمان نجملها فيما يلي :

1- الناحية السياسية :

لقد أفادهم تفرقهم هذا من الناحية السياسية فائدة كبيرة ، حيث كانوا لا يظهرون بمظهر المتكتلين أمام السكان الأصليين ، وعندئذ لا تثور ثائرتهم ولا يتحرشون بهم فيعيشون آمنين على مستقبلهم غير متعرضين للفتن والقلاقل ، كما أن تفرقهم هذا مكنهم من محالفة قبائل متعددة ، ومكنهم من حرية الحركة والعمل مما كان له أكبر الأثر في الناحيتين الاقتصادية والعسكرية .
كما أن انتشارهم هذا ومحالفتهم لقبائل متعددة أوجد لهم نفوذاً هائلاً تسلطوا بواسطتة على مقاليد الأمور في يثرب . ولقد اعتمد اليهود في سياستهم على مبدأ إثارة الأحقاد - فرق تسد - حتى يشتغل عدوهم بنفسه ولا يفكر فيهم وهذا ما حصل حتى سيطروا وتملكوا .

2 - الناحية الاقتصادية :

نزل اليهود أخصب مناطق المدينة زراعياً وأجودها تجارياً فحفروا الآبار وغرسوا البساتين وكانوا صناعاً ، وأحدثوا سوقاً لهم في يثرب ، وبذلك استطاع اليهود أن يسيطروا على الناحية الزراعية والتجارية والصناعية وكانت لهم اليد العليا في اقتصاد يثرب زيادة على ما أرهقوا به العرب من الربا والاحتكار .

3 - الناحية العسكرية :

كان هذا التوزيع لمراكز القوة اليهودية يكفل لليهود وقتها القدرة على الانتشار وأن يمدوا أيديهم على مساحة كبيرة من الأرض يعملون على استغلالها واستثمارها ، ولذا كان عليهم أن يقوموا بتحصين أماكن تجمعهم وإمدادها بالقوة العسكرية وتخزين كميات من السلاح وإعداد مجموعات منهم للقتال بنية الحفاظ على ما اكتسبوه حتى يمكن لهم دوام السيطرة والبقاء ، زد على

هذا إحساسهم بأنهم أغراب وغير مرغوب فيهم ، من هنا فقد اشتهر اليهود بصناعة الأسلحة من سيوف ، ونبال ، ودروع ، وسهام ، ونصال ، فكانوا يصنعونها ويتخذون منها لأنفسهم ويبيعونها لغيرهم .
وإلى جانب هذه الأسلحة تفننوا في بناء الحصون و الآطام يلجأون إليها إذا دهمهم عدو أو فاجأهم خصم ، وهذه الحصون تعتبر في زمانهم كالتحصينات العسكرية في زماننا ، وكانوا يخزنون فيها الماء والقوت والوقود وجميع ما يحتاجون إليه بكميات تكفي لفترة طويلة من الزمان حتى إذا حوصروا أو اضطروا إلى المكث فيها مدة طويلة كان عندهم ما يغنيهم فلا يحتاجون إلى شيء من خارج هذه الحصون ومما يؤيد ذلك حصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبني النضير خمس عشرة ليلة ، ولبني قريظة خمساً وعشرين ليلة . وكانوا يشيدون هذه الحصون من الحجارة الصلبة المنحوتة بأشكال هندسية ويجعلون سمك الجدار فيها متراً أو اكثر وكانت تقام من طابقين أو ثلاثة .
ويدل على هذا قوله سبحانه ((من صياصيهم)) أي حصونهم ، كما يدل على قوتهم وتدربهم على القتال ما جاء في ردهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال لهم بعد أن نصره الله في بدر : "يا معشر اليهود احذروا من الله -عز وجل- مثل ما نزل بقريش من النقمة . .. وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم" فأجابوه : "يا محمد إنك ترى أننا كقومك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس" !
وسياق الآية الكريمة يؤكد اعتدادهم بقوتهم وحصونهم وتقدير المسلمين والعرب لهذه القوة وذلك بقوله تعالى ((مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ)) فلا أنتم كنتم تتوقعون خروجهم ، ولاهم كانوا يسلمون في تصور وقوعه فقد كانوا من القوة والمنعة في حصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم أن تخرجوهم منها كما أخرجوا ، وبحيث غرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التي لا تردها الحصون ((فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)) فسبحان الله ! ما أشبه اليوم بالأمس ((فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ)) .

المراجع :

- سيرة ابن هشام .
- تفسير ابن كثير .
- (بنو إسرائيل بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم) الدكتور : صابر طعيمة .
- يثرب قبل الإسلام ، الدكتور محمد السيد الوكيل .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب .

شعر

الغرفة السرية

مروان كجك

إن شئت أن تطأ البلدْ
بحذاء حقدك والحسدْ
فاختر أكابر أهلِها
وذوي النجابةِ والرَّشَدْ
وأمرْ جنودِك بالنذالةِ والشراسةِ واللددْ
لا ترحمنْ طفلاً ولا شيخاً ولا أماً تلِدْ
وابعث إلى من قد ترى فيهم رئيساً معتِمدْ
وأمر جنودك أن يسوسوه بنارٍ إن حَرَدْ
ثم ليعودوا مرة أخرى بأمضى وأشد
ولينظروا : هل عاد يسألُ عن أحد ؟
هل ما يزال الحق فيه يَتَّقِدْ ؟
فإذا تراءى أنه أضحى كما نبغي له
أو قام حيناً وَقَعَدْ
فلترفعوا تقريركم
للقائد الأعلى لكم
قولوا له :
صاحبنا لما يزل يرجو الأحَدْ
ونخاف أن يستيقظ الإسلامُ فيه
من جديد أو يَلِدْ
مازال يحلم بالفضيلةِ والرجولةِ والولدْ
مازال يهذي بالبطولة والفحولة والعددْ
مازال يؤمن أن للإسلام جولاتٍ ستهزم من وَفَدْ
قولوا له ، للقائد الأعلى لكم:
ولذاك نقترح الدواء المعتمد:
"لابد من قتل العقيدة أولاً
لتحل أخرى
نحن نصنعها له
وإذا عصى وأبى علينا ، أو مَردْ :
فالقهر يوقظُ
والسجون مدارسٌ
والقتل أنفى

بل وأشفى لمن اختار اللَّدَدْ !
إمضاء : هذا يعتمد .

شئون العالم الإسلامي و مشكلاته

باكستان والولايات المتحدة

أهمية باكستان :

تولي الولايات المتحدة الباكستان اهتماماً غير عادي ، وتنظر إليها كمجال لا يمكن الاستغناء عنه بسبب الميزات التي يتمتع بها . فباكستان يعتبر من العشر دول الأكثر سكاناً في العالم ، إلى جانب أهميتها الاستراتيجية، فوقوعها في شبه القارة الهندية ، ومجاورتها للاتحاد السوفييتي وإيران والهند والصين والمحيط الهندي كل ذلك يكسبها موقعاً جغرافياً فريداً يجعلها مطمعاً للذين يؤثرون في السياسة العالمية ، وكذلك دورها كدولة لها أهميتها ضمن مجموعة الدول الإسلامية ، وقربها من منطقة الخليج ، ودورها في مجموعة عدم الانحياز وعلاقاتها مع الدول العربية يعطيها أهمية كبرى لا يمكن تجاهلها من قبل القوى الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة التي تحرص على بسط نفوذها في كل مكان من الأرض ، والاحتفاظ بحرية التحرك في المناطق والنقاط الاستراتيجية من العالم .

إن أميركا أول من يدرك أهمية باكستان جغرافياً وبشرياً ، وهي في تعاملها معها تبذل جهوداً لا يستهان بها من أجل فهم واستيعاب أسلوب هذا التعامل ، ولا تعتبرها دولة ثانوية غير مهمة كجمهوريات أمريكا اللاتينية مثلاً .

نظرة الباكستان إلى أميركا :

يرى الباكستانيون أن اعتماد الباكستان على الولايات المتحدة اعتماد اضطراري يدفعهم إليه موقع بلادهم الحرج الجغرافي والسياسي ، وهم يعرفون أن الولايات المتحدة - كغيرها من الدول الكبرى - لا تعطي شيئاً مقابل لا شئ ، إن لها مصالح في المنطقة تريد المحافظة عليها ، لكنهم يعللون اعتمادهم هذا على الولايات المتحدة أنه لاخيار لهم فيه ، حيث إن علاقتهم مع الهند تشكل مرضاً دائماً ، ولابد من البحث عن جهات توفر لهم حداً من الحماية ، وهم يعتقدون أن عمقهم الطبيعي هو العالم الإسلامي ، ولكن لأن أنظمة العالم الإسلامي خذلتها في صراعها مع الهند .

ثم اكتشفت الباكستان عملياً أن أميركا ليست بالحليف الذي يعتمد عليه وقت الأزمات ، وأن السياسة الأمريكية سياسة منافقة لا تعتمد مبادئ الصداقة ، بل ولا تلتزم بالوعود التي تقطعها وقت السلم ، وكان هذا الاكتشاف بعد حربها

الأولى مع الهند في أول الستينات ، وعند انفصال البنغال (باكستان الشرقية) بتحريض من الهند ومساندتها في أواسط السبعينات .
وأمام هذه الحقيقة فإن باكستان تحرص على الحصول على مساعداتها من أي مصدر مع إبقاء علاقاتها مع أميركا .

نظرة الولايات المتحدة إلى باكستان :

تنظر الولايات المتحدة إلى باكستان كدولة مهمة ذات ثقل سياسي وجغرافي مهم ، فباكستان في نظهرها تتميز بدبلوماسية نشيطة وذكية ، وعندها جيش كبير وذو كفاءة عالية ، وهي دولة مهمة على كل المستويات ، وعلى الرغم من وجودها إلى جانب دولة قوية وكبيرة كالهند ؛ فإن سياستها تكاد تضارع السياسة الهندية وأثرها في نظر أميركا إن لم يفق أثر الهند فهو يعادله على الأقل ، وذلك لأن علاقاتها مع كتل كبرى لها وجودها على الساحة الدولية يجعل من الصعب تجاهلها .
ويمكن أن نقول : إن هناك هاجساً غير مريح للأمريكان سواء في حالة تعاملهم مع الباكستان أو في تجاهلهم لها .
أ- فهم -إذا تعاملوا معها- يتعاملون بحذر شديد ، فمن جهة لا يريدون تقويتها بالقدر الذي يغضب الهند ، ويقدمون لها من المساعدات التي تجعلها قادرة على حفظ مصالح الولايات المتحدة فقط ، دون الذهاب في ذلك بعيداً إلى الحد الذي يجعل من الصعب عليهم كبح جماحها فيما إذا أصبحت قوة عظمى تتمتع باستقلالية تساعدها على التحرك بحرية ، وهذا النهج من التعامل هو الأسلوب الذي تتعامل به القوى الغربية والشرقية مع أي دولة في العالم الإسلامي .
ب - وهم - أي الأميريكيون - لا يشعرون بالاطمئنان إذا ما تجاهلوا باكستان لأنهم يعتقدون أنها ستظل تبحث عن مصادر تقوية بعيداً عنهم ولن تكون النتائج مضمونة ، ولذلك فإنهم - مع مساعدتهم لباكستان - تراهم ينظرون بعين الشك والريبة إلى علاقاتها هنا وهناك .
وهم يرونها مهمة لهم لأن هدفهم المركزي هو بقاء منطقة جنوب شرقي آسيا خاضعة للنفوذ الأميركي ، ولا يريدون تقويض الوضع القائم هناك أو تعرضه للاضطراب ، ويمكن أن يلمح المحلل ثلاثة ركائز على طول هذا المحور الممتد من البحر المتوسط إلى المحيط الهادي ، تعتبر ركائز أساسية للنفوذ الأميركي وهي تايلاند وباكستان وإسرائيل ، وباكستان بالنسبة لأميركا هي أصعب هذه الركائز من ناحية التعامل معها .

أميركا وبنازير :

إن الظروف التي قتل فيها ضياء الحق تضيف شكاً جديداً إلى جملة الشكوك السابقة التي تحيط بعلاقات الولايات المتحدة بباكستان والتي يعرفها الباكستانيون - أو أكثرهم - معرفة أكيدة.

وقد أصبح واضحاً الآن أن أميركا تتدخل بصراحة فجة في توجيه السياسة الباكستانية ، فقد أحيطت بنازير بوتو بدعاية غير طبيعية ، وأبرزت بعد مقتل ضياء الحق بشكل يجعل من المستحيل أن لا تفوز في الانتخابات التي حصلت ، وتصريحاتها كانت صريحة بخطبة ود أميركا ومعها القوى الغربية التي ردت التحية بأحسن منها ، وسواء قلنا : إن تصريحات بوتو وما ترتب عليها من موافقة جماعية غربية على توليها السلطة كانت خطوة ابتدائية منها ؛ أو كانت فضلاً من ارتباطات سرية ؛ فإن النتيجة واحدة . فلاشك أن تشجيع الغرب - وعلى رأسهم أميركا - لبوتو ينبع من عدة اعتبارات :

1- لأنها علمانية المنشأ ، غربية الثقافة والفكر .

2- لأنها تكن في قرارة نفسها كراهية للإسلام تخرجها في كثير من تصريحاتها وأحاديثها على شكل هجوم : على المتطرفين والأصوليين .

3- لأنها أول امرأة تتصدى لهذا المنصب الخطير في قطر كبير مهم من الأقطار الإسلامية ، فإذا نجح المسعى في جعل امرأة تقود هذا القطر الكبير فسيكون ذلك أمثولة لغيره من الأقطار الإسلامية كي لا تعارض هذه القضية التي سبقها إليها قطر مهم جداً وقام على أساس الإسلام ، من سيظل يجادل في هذه القضية !

وأميركا تعلم أن في تولي امرأة أعلى منصب في الدولة في قطر إسلامي سابقة مهمة ، ستكون لها آثارها على التيارت الموجودة داخل البلاد ، فمن وجهة نظرها يعتبر هذا إضعافاً للتيار الذي يتمسك بالإسلام ، والذي تضفي عليه كثيراً من النعوت والأوصاف بغية تفريقه وإضعافه ، وتقوية لأعداء الفكرة الإسلامية من كافة الاتجاهات ، وإذا قوي هؤلاء فهم الذين يضمنون مصالح أميركا وغيرها من القوى المعادية للإسلام ويمررون ما تريد بشتى الوسائل .

والولايات المتحدة تعلم جيداً أن قاعدة بوتو الشعبية ليست من القوة الحقيقية بحيث تجعل مستقبلها في السلطة مطمئناً ، ولهذا فهي لا تفتأ تقدم لها النصائح ، فأميركا تعلم أن فوز بوتو في الانتخابات كان نتيجة تحالفها مع جماعة المهجرين ، وهؤلاء لهم حساباتهم ومطالبهم التي إذا لم تنفذ فسيسهل عليهم التخلي عنها ، وقد حصل هذا فعلاً وأصبحت بوتو وحزبها مكشوفين ، وتعرضت لهزة كادت تطيح بها . وكذلك فإن قوتها -وهي قوة غير مطلقة طبعاً- لا توجد إلا في إقليم السند ، بينما مركز الثقل بالنسبة لباكستان هو في إقليم البنجاب الذي لا أثر لها فيه والذي يكاد يوازي باقي أقاليم باكستان مجتمعة .

ويمكن أن نلمس أثر النصائح الأمريكية بالمحاولات المتكررة لإضعاف سيطرة الجيش ، وانتقاء شخصيات ورتب مؤثرة فيه ، وأحالتهم إلى التقاعد أو نقلهم إلى مناصب لا أهمية لها .

إن أكبر تحد لسلطة بوتو هي قوة الإسلاميين كما تعتقد الولايات المتحدة ولذلك ، فإن أي تحرك باتجاه إضعاف هؤلاء من قبل بوتو يلقى الترحيب من الولايات المتحدة ، ونستطيع أن نلمس حماسة الولايات المتحدة للتغييرات التي طرأت على مسار توجهات الدولة ، فعند الولايات المتحدة كثير من المصطلحات المضللة التي تخفي نواياها في حرب التوجه الإسلامي في أي دولة . فإذا أحست أن نظاماً من الأنظمة أبدى نية في ضبط التسيب الخلقي والاجتماعي عن طريق بث المفاهيم الإسلامية ودعمها بما يهدد المفاهيم الغربية المنحلة نرى أميركا ترفع مصطلح القلق على حقوق الإنسان وحرية الفكر والعقيدة أو حقوق المرأة ورفع الظلم عنها ، وهذا ما يلمح من نظرتها إلى باكستان في عهد ضياء الحق - وأخرياته على وجه الدقة - في حين نجد أن أميركا لا تستطيع أن تخفي سعادتها وفرحها حين ترى أجهزة الإعلام الباكستانية قد اتجهت إلى مسار أكثر حرية مما كانت عليه في أثناء حكم ضياء الحق ، ولا يغيب عن بالنا أن خصوم الإسلام حين يذكرون الحرية في هذه المجالات يعنون : حرية الفساد والإفساد ، والتحلل الأخلاقي بعيداً عن أي ضوابط شرعية أو دينية .

ومن أهم التطورات التي طرأت على الباكستان وعلاقتها بقضية أفغانستان تشجيع أميركا لبوتو لتبني الحل السياسي ، والتخلي عن الجهاد ، وهي لا تخفي تذمرها من وجود حركات جهادية لاترضى أن تهادن الشيوعيين .

مثلث العلاقات الأمريكية الباكستانية الهندية :

إذا ما نظر الباكستانيون إلى القوى الخارجية التي يمكن أن يعتبروها مسؤولة عن نصيب كبير مما يحدث لهم من مشاكل ؛ فإن نظرتهم عندما تتعدى الهند تتجه مباشرة إلى الولايات المتحدة ، لأنهم يعتقدون - بحق - أن أميركا غير بعيدة عما يحدث في باكستان وحواليها .

وإذا نظرنا من زاوية إسلامية خالصة فإننا نجزم بأن المسؤول الأول عن إبقاء الخوف المستمر - وذي الأسباب الوجيهة - من التهديد الهندي هو الولايات المتحدة ، وأميركا التي تعتبر أن لها الحق أن تملك مالا حدود له من القوة ، تجد من غير المعقول ولا المنطقي أن تكون هناك قوة إسلامية في أي بقعة من العالم متحررة من الضغوط ، بعيدة عن التهديد الدائم ، وهذا ما يفسر لنا كيف أنها تستخدم موازين مختلفة في علاقاتها مع القوى الخارجية ، فهي من جهة تغض الطرف عن امتلاك الهند للأسلحة النووية ، وتغض الطرف عن محاولات الهند المتكررة للانتقاص من سيادة الباكستان ، بل والتدخل بقوة السلاح لفصل باكستان الشرقية عن الغربية ، وتعتذر عن ذلك بمعاذير باردة جداً لاتثبت عند النقد ، فتدعي مثلاً بأنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً للهند ، أو أن يدها مغلولة للتأثير على الهند ، ولكنها حينما يترامى إلى علمها أن باكستان تسعى لإنتاج السلاح النووي لتوازن الموجود عند جارتها المتطلعة للتمدد تفقد

أميركا صوابها ، فتهدد بقطع المساعدات ما لم يتوقف العمل النووي ، وتهدد بأنواع كثيرة من الضغوط لعل من أخطرها وأشدها انعكاساً على حياة الباكستان هو العمل على عدم استقرار البلاد ، باستغلال الثغرات العرقية .
ويكاد الإنسان العاقل المنصف يقضي عجباً من موقف الولايات المتحدة في انزعاجها الذي لا حدود له من امتلاك الباكستان للأسلحة النووية ؛ ومن صمم أذنيها عن امتلاك دولة مثل إسرائيل لذلك ! لو لم يكن لأمريكا من المواقف الغريبة المخزية ضد المسلمين (وهي كثيرة) إلا هذا الموقف ، وكان لها من الأفضال والإحسان إليهم عدد النجوم (وهذا غير مُسَلَّم) لكان هذا الموقف وحده جديراً واكفياً في أن يغرس في قلب كل ذي عقل وضمير حى من المسلمين كراهية لا تزول مادامت هناك دولة اسمها الولايات المتحدة في الوجود!
إن موقف أميركا من عداء الهند لباكستان نابع - إذن - من أنها لا تجد لها ناقة ولا جمل في هذا الصراع ، ولا تستفيد منه شيئاً ، وهي من جهة لا تريد إغضاب الهند ولا تحب انتصار باكستان . . وحيث إن الباكستان لا يمكن ولا تستطيع أن تذهب بعيداً في تحقيق رغبات أميركا ، لذلك لن تنتفع بشيء جوهري من علاقاتها معها ، وفي هذا الصدد تلتزم أميركا تجاه علاقة الباكستان بالهند بما يلي :
1 - لاتزود الباكستان بأسلحة لتقاتل بها الهند .
2 - لا تلبي أى طلب لتزويد الباكستان بأسلحة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهند .
3 - إذا طلبت باكستان سلاحاً متطوراً ، وأدى ذلك إلى قلق واحتجاج من الهند فإن أميركا يمكن أن لاتوافق على هذا المطلب خاصة إذا دفعت الهند ثمناً سياسياً مقابل ذلك.
ومن أجل فهم معادلة كون أميركا المورد الرئيسي للباكستان بالأسلحة من جهة ؛ وعدم تلبية طلباتها فيما يضر الهند فلابد أن ندرك أن أميركا تحرص أن تكون باكستان سوقاً لأسلحتها ، وأنها تعلم أنها لو لم تمد باكستان بالأسلحة بتاتاً فستتجه هذه إلى مصدر آخر للأسلحة فأمامها السوق مفتوحة والمصادر كثيرة لذلك تحرص أميركا على بيع باكستان السلاح فتكسب مالاً ونقوداً ، ولكنها من جهة ثانية لا تتورط كثيراً فتكون صفقاتها مشروطة بعدم إغضاب الهند ، التي تحرص أميركا على كسبها أيضاً .

المعادلة الأمريكية الباكستانية الأفغانية :

يشكل الدور الذي لعبته وتلعبه أميركا في الصراع على أفغانستان فصلاً لا يتسع المجال هنا لبسطه ، ولكن الذي تجدر الإشارة إليه الآن هو أن دعم الولايات المتحدة للأفغان كان دائماً دعماً مشروطاً ومبنياً على حسابات تهم أميركا وحدها .

وقد مر هذا الدور الأميركي بثلاثة مراحل :
1 - المرحلة الأولى التي كانت مع بداية الغزو الشيوعي لأفغانستان ، واتسم الدور الأميركي فيها بشيء من الانتظار وعدم التورط بدعم المجاهدين صراحة ، لأن القوى على الساحة الاقليمية لم تكن توضحت وتميزت بعد.
2 - المرحلة الثانية : وكانت في أواسط مدة وجود الروس في أفغانستان وتميزت بدعم المجاهدين ببعض الأسلحة الأميركية المتقدمة كالصواريخ ، وكان ذلك عن طريق باكستان - وبدا في هذه المرحلة تصميم باكستان على الوقوف مع المجاهدين واستمرار دعمهم ، بل إن تصريحات ضياء الحق وأعماله أظهرت ثقة كبيرة بالنفس بالنسبة للمسلمين في شبه القارة الهندية ووسط آسيا أنهم لن يكونوا بعد اليوم هدفاً للقوى الاقليمية : الهندية من جهة والسوفيياتية من جهة أخرى ، وهكذا اضطر السوفييت في مجرى هذه الفترة أن ينسحبوا من أفغانستان.
3 - المرحلة الثالثة : ما بعد انسحاب الروس ، وهنا طرأ تغير على مجرى الأحداث خاصة بعد مقتل ضياء الحق ، وتولي بوتو السلطة في باكستان ، وبعد الانفراج الحاضر على الساحة الدولية بين الأمريكان والروس . وكان لذلك كله آثاره السلبية على أهداف المجاهدين التي تتلخص بإخراج الروس من أفغانستان وإسقاط عملائهم ، وأن تكون أفغانستان دولة محكومة من قبل فئات الشعب التي عانت من الاحتلال والتشريد والتي عملت وضحت من أجل طرد الغزاة عن أرضها .
ولكن ظهر لأميركا أنه خلال تصدي الشعب الأفغاني للاحتلال الروسي برزت على الساحة قوى وجماعات عندها استقلالية في التفكير ، وليس من السهل التأثير عليها بشكل كامل ، وتبنت هذه الجماعات خطاً متشدداً (بنظر أميركا) والخط المتشدد بنظرها هو أن تستوحي هذه الجماعات فكرها التنظيمي وأهدافها من عقيدتها ومن تاريخه ، لذلك فإن هذه الجماعة تطمح إلى أن توجه الحكم في أفغانستان -إذا وصلت إليه - سيكون إسلامياً ، وهذا طموح مشروع نابع من عقيدة الأمة ومن واقع الأمر ، فالصمود الذي أظهره هذه الشعب في وجه الزحف الشيوعي مستمد من تمسكه بإسلامه ، والذين أقضوا مضاجع الشيوعيين في أفغانستان هم المجاهدون المسلمون لا القوميون ، ولا غيرهم من أنصار الملك السابق ، ولكن مع هذا فإن هذا الطموح لا تراه أميركا طموحاً مشروعاً ، وهي تمد المسلمين بالسلاح كي يمنعوا الشيوعية من التمدد وتهديد مصالحها الحيوية،لكن أن يكونوا أحراراً في بلادهم يطبقون قوانينهم وشرائعهم الخاصة بهم والنابعة من عقيدتهم فهذا لا يكون ولا ينبغي .
ولذلك كانت أميركا غير راضية عن توزيع الأسلحة على المجاهدين من قبل المخابرات الباكستانية ، وكانت لا تود أبداً إعطاء أصحاب الاتجاه الإسلامي

الذي تسميهم الأصوليين أي أسلحة مؤثرة ، وتلتقي الولايات المتحدة مع بنازير بوتو في عدم تفضيلهما قيام نظام أصولي في أفغانستان .
وإذا أضفنا إلى ذلك الانفراج الحالي بين الشرق والغرب ، وضغط الهند والسوفييت على المجاهدين وطموح إيران لتكون لاعباً رئيسياً من جملة اللاعبين ونقاط التلاقي بينها وبين هؤلاء على الساحة الأفغانية سندرك الصعوبة البالغة التي يمر بها الشعب الأفغاني الذي وقع ضحية الجغرافيا والقوى والمحيطة به .

خاتمة

من مجمل دراسات العلاقات الباكستانية الأميركية يتضح لنا أن اعتماد الباكستان على أميركا اعتماد اضطراري وهو من وجهة النظر الباكستانية أهون الشرور (وإن كانت هذه النتيجة قابلة للمناقشة) ، وباكستان من حيث المبدأ تعتقد أن عمقها هو العالم الإسلامي ، ولكن لأن أنظمة العالم الإسلامي خذلتها في صراعها مع الهند ، بل نظرت إليها نظرة لا تخلو من شماتة وتشف وتفضيل للجانب الهندي لذلك لجأت إلى أميركا ، واكتشفت باكستان عملياً أن أميركا ليست بالحليف الذي يعتمد عليه من أجل رفع الظلم وتحقيق العدل ، بل اكتشفت ان السياسة الأميركية في جوهرها سياسة منافقة لا تعتمد مبادئ الصداقة ، بل لا تلتزم بالوعود المقطوعة في فترات السلم حينما توضع هذه الوعود على محك التجربة وقت الأزمات .
وهكذا استمرت الباكستان تبحث عن الحلفاء فاتجهت إلى الصين ثم حاولت مع روسيا لفترة قصيرة ، ثم للعالم الإسلامي ثانية ثم لعدم الانحياز ، وعلى الرغم من كثرة أصدقاء الباكستان بين دول العالم الثالث فإن هؤلاء الحلفاء الضعاف لا يستطيعون تقديم شيء لها في صراعها المرير مع الهند !
إن وضع الباكستان على غاية من التعقيد والخطورة ، وإننا نلمح هذه الخطورة من الحالة التي تلح عليها باكستان وهي محاولة الحصول على أي عون ضد مطامع الهند ، وخاصة بعد الانسحاب السوفييتي من أفغانستان .
يرى المراقب هذا الوضع الحرج الذي يحيط بالمسلمين في تلك المنطقة المهمة من العالم ، ثم يسأل نفسه : هل المسلمون هناك على مستوى هذا التحدي ؟ وهل هم على قلب رجل واحد في فهم عقلية القوى المحيطة بهم ، وفي فهم نوايا الولايات المتحدة ؟ يشعر الإنسان بخيبة أمل لأن الجسم الإسلامي ليس منيعاً بما يكفي لمواجهة التحديات ، وأن القوى الكبرى لا تتلاعب هذا التلاعب في مصائر الشعوب ، ولا تستهتر هذا الاستهتار ، وتمعن بالمكر والتلون إذا واجهت تصميماً صادقاً ، وعزائم تعتمد على الله وحده .

الدور الإيراني في القضية الأفغانية

عبد الرحمن نموس
إن هدف إيران أن تـبـسـط تـأثـيـرها حيث استطاعت ، وخصوصاً بين المسلمين ، وإذا هي وجدت صعوبة في التمدد غرباً ، فـإن ذلك لـن يثنيها أن تصر على تنفيذ أهدافها شرقاً ، خاصة وأن جارتها أفغانستان ذات الأغلبية السنية الساحقة تعيش محنة يمكن أن تستغل.
وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم تحسين علاقـتـها بالسوفييت الذين كانت تنعتهم بنعوت لا تقل عن نعوتها لأمريكا .
هذا التحسن الذي بدأ قبل موت الخميني، وتوج بزيارة رفسنجاني لموسكو، انعكست آثاره على الجهاد الأفغاني بشكل مباشر .

من هذه الآثار :

عندما تفاوض نائب وزير الخارجية السوفييتى "فورنتسوف" مع قيادات المجـاهـديـن فـي إسلام آباد ، ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود نتيجة التعنت السوفييتي ؛ نصح رئيس دولـة إيـران خـامـنـئـي قيادات المجاهدين بالاستمرار في المفاوضات وعدم قطع الحوار مع موسكو .
وازداد هذا الوضوح فـي الموقف الإيراني عندما تم الإعلان عن حكومة المجاهدين الموقتة "الأولى" برئاسة أحمد شاه أحمد زي في فبراير "شباط " 1988 فلم يعلن الإيرانيون مجدداً تأييدهم لهذه الحكومة فضلاً عن أن يعترفوا بها كحكومة إسلامية . وبدلاً من أن يتم الدعم والتأييد لهذه الحكومة بدأت العراقيل توضع في طريقها من قبل الموالين لإيران ، فقد ذكر المهندس أحمد شاه أحمد زي رئيس الحكومة الموقتة للمجاهدين في ذلك الوقت أن وزير الصحة الشيعي لم يحضر أي اجتماع من اجتماعات الحكومة بعد تشكيلها وتبين أنه سافر إلى استراليا سراً لأنه "حسب بعض المصادر المطلعة" تلقى تهديدات بالاغتيال إذا مارس أي نشاط في الحكومة المذكورة لأنهم يريدون مقاطعتها حتى يتمكنوا من فرض الشروط التي يريدونها .
أما بعد حل حكومة المجاهدين الموقتة الأولى وانعقاد مجلس الشورى في مدينة الحجاج بإسلام آباد فقد كان للإيرانيين شأن آخر في التعامل ، فقد رفضت المنظمات الشيعية المتمركزة في إيران الاشتراك بأقل من 120 عضواً في المجلس ، أي بعدد يوازي عدد المشتركين من منظمتين جهاديتين من منظمات الاتحاد السباعي حيث تم تخصيص ستين مقعداً لكل منظمة كما طالبوا بخمس وزارات في الحكومة التي ستنبثق عن المجلس ، ولما كانت هذه النسبة عالية جداً بالنسبة إلى تعداد الشيعة في أفغانستان فقد رفض المجاهدون هذا الطرح بإصرار باعتبار أنه لا يستند إلى أي أساس من الواقع ، فلا على أساس أنهم طائفة دينية مستقلة يستحقون هذه النسبة، ولا على أساس أنهم أقلية عرقية يستحقونها، ولا على أساس تواجدهم الجهادي على الأرض ، وأصر هؤلاء على مواقفهم حتى أنهم قاطعوا جلسات المجلس ،

وبدأت تظهر بالأفق ملامح أشياء أكثر من عدم التأييد للمجاهدين ، وأكثر من مجرد إرضاء الاتحاد السوفييتي إعلامياً ، فقد نقلت وكالة أنباء البنيان أن السفير الإيراني في إسلام آباد طلب من المتحدث الرسمي باسم المجاهدين في حينه "الأستاذ سياف" حضور جلسات المجلس وعندما رفض سياف الطلب قال السفير : إذا لم تعطوا الشيعة مائة وعشرين مقعداً فلن نعترف بحكومتكم . . . كما هدد بالقيام بأعمال عنف داخل أفغانستان تستهدف المجاهدين ، كما طلب السفير طلباً مشابهاً من المهندس حكمتيار مما دعى حكمتيار للرد عليه بالقول : إننا مستعدون لنقل الجهاد إلى خارج حدود أفغانستان .

وعندما اعترفت حكومة البحرين بحكومة المجاهدين الجديدة نقل راديو طهران نبأ الاعتراف قائلاً : اعترفت البحرين بالحكومة السنية التي شكلها الائتلاف السباعي في بيشاور .

ثم ختم الإيرانيون هذه المواقف بزيارة هاشمي رفسنجاني لموسكو بعد موت الخميني ، والعمل على تطوير العلاقات بين البلدين على حساب المجاهدين ، ففي البيان المشترك الذي أذاعته إذاعة موسكو في نهاية زيارة رفسنجانى : أن وجهتي نظر موسكو وطهران متطابقتان حول القضية الأفغانية .

المصلحة فوق المبادئ :

عندما لم تتحقق مصالح الإيرانيين ومن خلفهم مصالح الائتلاف الثماني الشيعي في تحقيق المطالب التي يريدون ؟ لم يجد بعض قادة تلك المنظمات حرجاً في الاتصال بنظام كابل ومحاولة الاتفاق معه على نقاط تحقق مكاسب أفضل مما يمكن تحقيقه عن طريق التفاوض مع المجاهدين ، فقد زار وفد من الائتلاف الثماني كابل لإجراء مفاوضات بهذا الخصوص وقد أكد هذه الزيارة قادة ميدانيون في الجبهات التي حول كابل منهم القائد عبد الحق قائد جبهات كابل التابعة للحزب الإسلامي جناح مولوي يونس خالص ، حيث أصدر بياناً يشجب فيه هذه الزيارة ويندد بالأعمال التي تقوم بها قيادات الشيعة وتشكل طعناً للجهاد ، كما أن المهندس حكمتيار أمير الحزب الإسلامي لم ينف هذه الأخبار عندما سألته عنها في مؤتمر صحفي عقده في بيشاور في أواخر أبريل الماضي ، إنما قال : "وصلتنا تقارير بذلك ولكن لم تصلنا معلومات عن طبيعة المفاوضات" .

وحتى لا يستمر هؤلاء في خططهم في هذه المرحلة الحساسة من عمر الجهاد فقد زار وفد من المجاهدين برئاسة الأستاذ رباني أمير الجمعية الإسلامية طهران للتفاوض مع هؤلاء ، والوصول إلى نتيجة لكنه لم يفلح ولم يغلق باب المفاوضات إنما كانت هنالك جولات أخرى في بيشاور ترأس وفد الشيعة فيها كريم خليلي ، ولكنها أيضاً لم تفلح حيث أصر الشيعة على

مطالبهم بأكثر من 100 مقعد في مجلس الشورى، أي نسبة 20% من المجلس ونسبة موازية في مجلس القيادة الأعلى وفي الحكومة .
لماذا هذا الإصرار على حق مزعوم لا يستند إلى أساس من الواقع ! ربما كانت مبررات هذا الإصرار هي :
1 - فكرة تصدير الثورة ، واستغلال ظروف أفغانستان الحالية من أجل ذلك ، بعد فشل الفكرة في الحدود الغربية.
2 - الاستفادة من الثغرات الحاضرة من خلال ضعف حكومة نظام كابل ، ومن خلال عدم استقرار حكومة المجاهدين ، واستغلال ذلك الضعف من أجل إملاء الشروط ، وتقوية الجناح الشيعي في أفغانستان.
3 - التركيز على زيادة نسبة الشيعة في ظل غياب الإحصائيات الرسمية كعامل دعم لتحقيق البندين السابقين ، وقد نقل الكاتب أمير طاهري في جريدة الشرق الأوسط :
أن إيران منحت 2 ر1 مليون أفغاني الجنسية الإيرانية وتريد لهم البقاء على ثنائية القومية ، وتصر على أن الشيعة يزيدون على ربع سكان أفغانستان ، وإذا تحقق هذا فسيكون من حقهم التمسك بربع المناصب الحكومية والوزارات .
4-العمل على عدم قيام أي حكومة إسلامية مستقلة في أفغانستان خارج إطار الاحتضان الشيعي ولو أدى ذلك إلى التعاون مع أي جهة كانت ، وهذا واضح من التفاوض مع نظام كابل وإمكانية قبول بعض المناصب الحكومية عنده ، بدلاً من الوقوف مع حكومة المجاهدين ودعمها .
فقد نشرت أخبار قوية في بيشاور مفادها أن الائتلاف الثماني الشيعي وبعض المنظمات الصغيرة المنشقة عن منظمات المجاهدين الأصلية شكلوا نواة لحكومة إسلامية أفغانية في طهران والمنظمات الصغيرة هي : حركت انقلاب إسلامي/جناح رفيع الله مؤذن ، حركت انقلاب إسلامي/جناح نصر الله منصور ، مجموعة محمد أمين وقاد ، حزب شوراي اتفاق ، إضافة إلى الائتلاف الثماني الشيعي .
ولما سئل الأستاذ رباني القادم من إيران بعد العيد الأضحى قال : إن ما تم تشكيله ليس حكومة أخرى لكنه لجنة مشرفة على أمور الجهاد ، ولم يعط رباني تفصيلات أكثر .
وأياً كانت هذه اللجنة فإن عملها يعتبر تكتلاً انشقاقياً عن صف الجهاد العام في وقت هو بحاجة إلى الوحدة وتماسك الصف والتضامن وقد توج الشيعة محاولاتهم الرامية إلى تحقيق مكاسبهم الخاصة بتركيز قواتهم المسلحة "حسب تقارير عسكرية من الداخل" حول كابل ليكون لهم شرف مشاركة فعالة تتناسب وطموحاتهم عند سقوط العاصمة .

وأمام هذه المحاولات الموغلة في النزعة الأنانية يتحتم على المجاهدين أن يتخذوا مواقف أكثر صلابة وأكثر ثباتاً تجاه أي أقلية تحاول استغلال الظروف والثغرات لتحقيق أهداف ومكاسب ليست من حقها أو تحاول اللعب على أكثر من حبل وفق أسس مصلحية لا مبدئية .
كما يترتب على المجاهدين مد الأيدي وبناء العلاقات الأفضل مع بقية الأحزاب الجهادية من أهل السنة والتي تنتظم خارج الائتلاف السباعي ، فمثل هؤلاء كان ومازال لهم دور مشرف في الجهاد وكانوا وما يزالون أحزاباً جهادية إسلامية من أهل السنة والجماعة ، وكل ما في الأمر أنهم لم ينصهروا تحت الاتحاد السباعي لأمور سياسية .
والخلاصة أن المطلوب من المجاهدين الفعليين رص الصفوف، وإزالة الخلافات الجانبية، والتنبه إلى ما يحاك لهم في الخفاء ، ولاعذر لهم بادعاء الجهل بذلك ، لأن القاضي والداني والعالم والجاهل أصبح على بأن الروس الذين عجزوا عن تنفيذ مآربهم بالقوة العسكرية المباشرة لمن يتخلوا عن استغلال نقاط ضعف محيطة بالمجاهدين إن لم تكن قادرة على هزيمتهم فهي لاشك ستجعل تحقيقهم لأهدافهم المشروعة صعباً ، ولن يفشل هذه الخطة ويهزمها سوى الوعي والتعالي على الخلافات والعصبيات وإخلاص النية لله الذي يُعادَون من أجل التمسك بدينه لا لشيء آخر .

رحم الله الشيخ عبد الله عزام

في يوم الجمعة 26 ربـيـع الثاني / 1410 و الموافق 14 /11/ 1989 امتدت يد الإجرام في مدينة بيشاور إلى الداعية المجـاهــد الشيخ عبد الله عزام فقتل مع ولديه -رحمهم الله-، وقـد كــان في طريقه لصلاة الجمعة عندما فجروا سيارته على الطريقة (اللبنانية) ، وعلى الطريقة نفسها سيبدأ التحقيق وربما لا ينتهي إلى نتيجة .
وإذا كانت الأنباء لم تذكر حتى الآن من وراء هذا الحادث اللئيم ، فإننا نستطيع القول: إن الجهات التي نفذت هذا الحادث هي التي لا تريد المجاهدين العرب في بيشاور الذين جاءوا لمـساعدة إخوانهم الأفغان احتساباً لله تعالى ، وأرادت هذه الجهات أن تضرب أحد رموز هذه المشاركة كرسالة موجهة إلى البقية ، ولكن هيهات . . فإن وقوف الشباب العربي المسلم مع الإخوة الأفغان هو رمز لمسيرة طويلة من الجهاد في أفغانستان وفلسطين،وأرتيريا، وغيرها من أنحاء العالم الإسلامي ، وإن الدماء الفلسطينية التي سالت على ربى أفغانستان لها دلالة خاصة على هذا التواصل .
هناك جهات كثيرة لا تريد هذا التواصل ، ولا تريد أن يمتد هذا الجهاد إلى مناطق أخرى يحتلها أعداء الإسلام ، والغرب والشرق لا يريدون شيئاً اسمه

(الجهاد) وكان للشيخ عبد الله وللإخوة العرب الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني كان لهم دور في إذكاء هذه الروح بين الشباب المسلم ، ولهذا السبب قتلوه ، رحمه الله وأجزل مثوبته ، وعظم الله أجر أهله وإخوانه .

مسلمو الهند والتعصب الهندوسي

لا يزال المسلمون فـي الـهـنـد يـتـعـرضون بين الحين والآخر لموجات من التعصب الديني الهندوسي ، وتقع المذابح الوحشية الـتـي تدل على الحقد الدفين الذي تكنه صدور هؤلاء على المسلمين ، وقد وردت الأنباء أخيـراً بوقوع مثل هذه المذابح التي راح ضحيتها المئات من المسلمين ، وذلك عندما قام الـهـنــدوس بتحدي مشاعر المسلمين في محاولة منهم لهدم المسجد البابري (نسبة إلى الملك بابر الـمـغولي الذي بناه عام 1528 م) وإقامة معبد لهم فوق أرض المسجد ، ورغم أن هذا المسجد لا تـقـام فـيـه الصلاة إرضاء لمشاعر الهندوس منذ عام 1948 عند انفصال باكستان عن الهند .
جاءت هذه الأحداث قبل الانتخابات العامة ، ومـع أن الـمـسـلـمـين يـدلـون بأصـواتـهـم (مع الأسف) لصالح حزب المؤتمر (حزب راجيف غاندي) إلا أن راجيف وقـف صامتاً إزاء هذه الأحداث طمعاً في أصوات الهندوس .
ونحن نقول للمسلمين في الهند : لا ينفعكم حزب المؤتمر ولا أحزاب المعارضة التي حققت تقدماً في الانتخابات الحالية ولا التعاطف والاحتجاجات الإسلامية - رغم أنه لابد منها - لا ينفـعـكـم إلا أن تقـفـوا موقفاً موحداً ، وأن يرد الاعتداء بمثله ، وتدافعوا عن أنفسكم وأعراضكم وأموالكم، فالبكاء والصراخ والشكوى لا تأتي بطائل،ولكم في الشباب الفلسطيني المسلم ، وأطفال الحجارة لعبرة ، لماذا تسـاعــدون الأحزاب الهندوسية؟ لماذا لا يكون لكم شخصيتكم المستقلة أم هو الإحساس بالضعف بـسـبـب التفرق ، وبسبب الآراء الضعيفة من الذين يحبون (سلام) غاندي ! .

تركيا ... محاكمات تنتظر كنعان إيفرين

انتهت الفترة الرئاسية للرئيس التركي كنعان إيفرين في 9/ 11/ 1989 م ولكن هل سيترك إيفرين ليخلد للــراحـــة بـاقـي عـمره في جو هادئ ، بعيداً عن التعب والإرهاق والانشغال بالظهور أمام الشعب وإلقاء الخطب ؟
والجواب : قد لا يكون ذلك ، فهناك جهات عديدة تعتزم رفع دعاوى ضده ، وقد بدأت بعـض تلك الجهات فعلاً بالتحرك لتقديمه للمحاكمة . ويقول عزيز نسين - وهو أحد الذين ينوون ذلك - : سأرفع ضده دعوى جزائية لأنه هو

المسؤول عن قيام الانقلاب العسكري ، ويجب على الآخرين فعل الشيء نفسه ، حتى لا يفكر عسكري مثله بالقيام بانقلاب آخر في المستقبل .
وصرح أحد أعضاء حزب الشعب واسمه عزيز جواد قائلاً : سأرفع دعوى عليه لاستخدامه سلطاته في التأثير على قرارات رؤساء المحاكم .
وقال أحد المتهمين في جمعية السلام ، وهو كمال أناضول : إن كنعان كان يوجه التهم المختلفة ضد أشخاص أبرياء، وكان تصرفه هذا بعيداً عن الإنصاف ، وكان قد تعدى صلاحياته المعطاة له لشعوره بالقوة ، وقال : لن أنسى له ذلك ، كما طالبت إحدى الصحفيات بالوقوف ملياً عند احاديثه وتصريحاته التي كان يُدلي بها أمام الشعب لما كانت تشتمل عليه من إساءة للدين وتطاول على أحكام الشريعة ، لاسيما حجاب المرأة المسلمة ، و منعه المرأة من ارتدائه مما سبب ترك أعداد كبيرة من الطالبات للدراسة . هذا كله بالإضافة إلى تذمره وضيقه ذرعاً بمدارس الأئمة والخطباء .
لقد فعل إيفرين كل ذلك تجاه الإسلام والمسلمين إلا أنه لم يتعرض يوماً لأديان الأقليات الأخرى .
إن الشعب التركي المسلم لن ينسى لإيفرين هذه المواقف وسوف يطالب دوماً بمحاسبته .
جريدة الوحدة الإسلامية 30 /10/ 1989م

قراءات تاريخية

قتل العلماء إخضاع للأمة

قد لا يعلم كثير من الناس أن الدولة العبيدية ، والتي يسمونها (الفاطمية) كان من شرورها أن قتلت كثيراً من علماء السنة في المغرب العربي وغيره ، واستمر هذا الشر في أحفادهم الإسماعيلية الذين مارسوا الاغتيالات لعلماء السنة .
وهذه أسماء بعض العلماء الذين قُتلوا ذكرتهم كتب التراجم مثل سير أعلام النبلاء للذهبي:
في سنة 361 ، وبعد أن استقر معد بن إسماعيل العبيدي الملقب (بالمعز) في القاهرة ، أحضر بين يديه العالم **أبو بكر النابلسي** وجرى هذا الحوار بينهما :
المعز : أنت الذي يقول : لو معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة والمصريين (العبيديين) بواحد .
- لا ، بل لرميتكم بتسعة ورميت الروم بواحد .
- ولم ؟

- لأنكم غيرتم دين الأمة ، وقتلتم الصالحين ، وأطفأتم نور الإلهية .
فأمر المعز العبيدي بضربه بالسياط، ثم سلخ جلده، سلخه يهودي، ثم قُتل - رحمه الله-، ولعنة الله على الظالمين .

محمد بن الحُبْلي

قاضي مدينة برقة ، أتاه أمير برقة (العبيدي الفاطمي) فقال : غداً العيد ، قال القاضي : حتى نرى الهلال ، ولا أُفَطِّر الناس وأتقلد إثمهم ، فأصبح الأمير بالطبول والبنود أهـبـة للعيد قال القاضي : لا أخرج ولا أصلي ، فطلبه المنصور العبيدي (حفيد عبيد الله المهدي) فقال له : تصل وأعفو عنك فامتنع ، فأمر به فعلق في الشمس إلى أن مات ، وكان يستغيث من العطش فلم يسق ثم صلبوه على خشبة (1) .

ابن البَرْدون

الإمام الشهيد تلميذ ابن الحداد ، قتله أبو عبد الله الشيعي ، وقال له لما جُرّد للقتل : أترجع عن مذهبك؟ فقال الإمام : أعن الإسلام أرجع ، ثم صلب وقد كان بارعاً في العلم (2) .

ابن خيرون

الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري ، أمر عبيد الله المهدي (مؤسس الدولة العبيدية التي تسمى بالفاطمية) أمر بأن يداس هذا العالم حتى الموت ، فقفز عليه الجنود السودان حتى مات ، وذلك بسبب جهاده وبغضه لعبيد الله وجنده (3) .

ابن قائد

أبـو عـبـد الله محـمـد بن أبي المعالي بن قايد الأواني ، زاهد ، خاشع ، ذو تأله وأوراد ، قدم (أوانا) (4) وأعظ باطني ، فنال من الصحابة فحمل ابن قائد في محفة وصاح به : يا كلب ، انزل ، ورجمته العامة ، فهرب وحُدّث (سنان) كبير الإسماعيلية في الشام بما تم لهذا الباطني فندب اثنين من رجاله فأتيا ابن قائد، وتعبدا معه أشهراً ، ثم قتلاه ، وهربا في البساتين فَنكِرَهما فلاح يعمل بمزرعته فقتلهما جزاه الله خيراً (5) .

الهوامش :

1- سير أعلام النبلاء15 / 374 .
2- المصدر نفسه 14 / 216 .
3- المصدر نفسه 14 / 217 .
4- قرية شمالي بغداد .
5- سير أعلام النبلاء 21 / 295 .

أخبار حول العالم

فضائح الشيوعيين

ما من يوم يمر إلا وتبرز الصحف على صفحاتها الأولى أنباء الإصلاحات الجذرية التي تمر بها أوربا الشرقية وما ترتب على ذلك من مـنـح لبـعض الحريات في بعض مرافق الحياة، ومـن بـيـن ما تمخضت عنه هذه الإصلاحات تخفيف الـقـيـود التي كانت مفروضة على الصحف ووسائل الإعلام الأخرى ، وسنورد فيما يلي مقتطفات مــن مـقـالات نـشـرت فـي صـحف أوربية شرقية ووكالات أنباء كانت قد تناقلتها صحف عالمية وتكشف هذه المقالات عن حيـاة الرفاه والبذخ التي كان يعيشها أعضاء الأحزاب الشيوعية الحاكمة في وقت كان يصعب فيه على المواطن العادي تأمين قوت يومه إلا بصعوبة بالغة .

ففي ألـمانيا الشرقية كتبت صحيفة "ألمانيا الجديدة" مقالاً افتتاحياً في الأسبوع الأول لتسلم إدارة تحريرها الجديدة تساءلت فيه :

" ... من هم أولئك الذين يحرص رئيس نقابات العمال على تحقيق مصالحهم ؟" ثم ذهبت الصحـيفـة تتحدث عن نمط الحياة التي كان يعيشها هذا المسؤول السابق فتقول : ".. لقد كان للمسؤول حقل منعزل للصيد يقع على سواحل بحر البلطيق توفرت له كل مستلزمات الرفاهية والـتـرف ، ويـشـتـمـل الحقـل على غابة يقوم ستة عمال على العناية بها لتبقى جاهزة طوال السنة ، وقد كـان هــذا الحقل الذي تبلغ مساحته (2000) هكتار مخصصاً حسب القانون للاستخدام الشخصي للمسؤول، أما مسكنه الفخم الواقع في ضواحي مدينة برلين الشرقية فقد فرشت جميع غرفه بقطع أثاث فاخرة صنعت يدوياً من خشب البلوط ، وقد وضع في كل غرفة من غرفه جهاز تلفزيون إلى جانب حمام ومغطس وحمام بخاري" .

ويعلق المسؤول ذاته على ممتلكاته فينفي عنها صفة البذخ ويقول : إن ما أملكه لا يزيد على ماخصص لي كمسؤول في هذا المنصب ، ثم يقول :إن من أهم الأولويات بالنسبة لي هي مصالح العمال!

وذكـرت الـصــحـيـفــة أن هــناك قصوراً فخمة أخرى لهذا المسؤول وكذلك لوزير الاقتصاد السابق في أماكن مــتـفـرقـة من البلاد ، وذكرت اللجنة البرلمانية التي تقوم بالتحقيق بتهم الــفـســاد أن الملايين من الماركـــات قد سرقت من خزانة الدولة وأنفقت على شراء منازل فـخـمـة لأقرباء كبار أعضاء الحزب بأثمان تنقص كثيراً عن قيمتها الحقيقية ، كما كشفت اللجنة أن مــنـازل بــاهـظــة التكاليف قد شيدت لأبناء رئيس وزراء سابق وأقرباء لأعضاء سابقين في المكتب السياسي للحزب .

كما علم أن (اريك هونيكر) رئـيــس الـوزراء المـعــزول كان يملك هو الآخر - مع أعضاء في الحزب الشيوعي-حقولاً للصيد تبلغ مساحتها (6745) مــيـل

مربع لا تستخدم إلا مرة أو مرتين في العام ، وأن ما بين (5 - 7) ملايين مارك ألماني كانت تسحب من خزانة الدولة للصيانة والعناية بهذا الحقول .
وقد ذكرت وكـــالــــة الأنـباء أيضاً أن أكداساً كبيرة من الأسلحة والذخيرة قد اكتشفت في منطقة الحدود، وأن سماسرة سلاح كانوا يسوقونها إلى دول الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا اللاتينية باستخدام اسم إحدى شركات التصدير الألمانية كغطاء لعملياتهم .

الفاتيكان والكرملين

بعد قطيعة دامت أكثر من سبعين عاماً بدأت المياه تعود إلى مجاريها الطبيعة بين الكرملين والفاتيكان ، وتم تمهيد الطريق لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة بينهما وذلك أثر الزيارة التي قام بها ميخائيل غورباتشوف للفاتيكان في 1/ 12 / 1989 وبعد ساعات من انتهاء الزيارة أعلن في موسكو عن إزالة عقبة مهمة كانت تقف عائقاً أمام إعادة العلاقات وهي السماح للكنيسة الكاثوليكية الأوكرانية بإعادة مزاولة نشاطها بشكل قانوني بعد أن كانت قد منعت من ذلك بعيد الحرب العالمية الثانية في فترة حكم ستالين وضمت ممتلكاتها إلى الكنيسة الأرثوذوكسية .
وقد اتسمت أجواء الزيارة بالدفء والبعد عن الرسميات ، وأعرب الجانب السوفييتي عن ثقته بالدور الذي يمكن أن تؤديه الكاثوليكية في انجاح البروسترويكا ، وأجرى الطرفان محادثات خاصة اقتصرت على شخصيهما دون الحاجة إلى مترجم ، وفي نهاية الزيارة وجه غورباتشوف دعوة للبابا لزيارة الاتحاد السوفييتي إلا أن البابا علق قبوله للدعوة بمدى الإصلاحات التي وعد القادة الروس بإجرائها وفي ذلك إشارة منه إلى إعادة الصفة القانونية للكنيسة الأوكرانية ، كما أكد البابا على ضرورة فسح المجال له لزيارة أوكرانيا فيما لو تمت الزيارة . كما أعلن الفاتيكان عن دعمه لسياسة إعادة البناء (البروسترويكا) التي ينتهجها غورباتشوف .
التايمز 1،2 /12/ 1989 م .

تصاعد نسبة الانتحار في الجيش الإسرائيلي

مع دخول الانتفاضة الفلسطينية عامها الثالث ، تشير الإحصائيات الإسرائيلية إلى ارتفاع ملموس في حالات الانتحار بين الجنود الإسرائيليين ، مما يثير قلق إسرائيل من انهيار معنويات جنودها.
فقد أقدم في هذه السنة - 1989 م - ما يقرب من خمسين جندياً على الانتحار ، وهو ضعف عدد الذين انتحروا في السنه الماضية ، وتنفي مصادر الجيش بقوة أن تكون هناك أية صلة بين ظاهرة الانتحار هذه وبين استمرار الانتفاضة ، ووصف رئيس أركان الجيش عمليات الانتحار بأنها واقع أليم ووعد بأن تدرس هذه الظاهرة على أعلى المستويات ، وأكد أن معدلات الانتحار في

السنوات الماضية كانت أعلى مما هي عليه الآن إلا أنه لم يعط أية تفاصيل .
وخلافاً لما صرح به رئيس الأركان فإن الإحصاءات تؤكد على أن معدل الانتحار بين أفراد القوات المسلحة في ازدياد مستمر .
وتشير الأرقام الواردة من إسرائيل إلى تزايد في أعداد الجنود الإسرائيليين الذين يرفضون الذهاب إلى قطاع غزة والضفة الغربية حيث مسرح الانتفاضة ، فقد سجن ما يقرب من مائة جندي لرفضهم أوامر الذهاب إلى هناك .
ويقول الناطق الرسمي لمنظمة "لكل شيء حد" أن الأعداد الحقيقية للجنود الرافضين أكبر من ذلك بكثير وذلك بسبب اتفاق البعض مع قادتهم من أجل أداء الخدمة داخل إسرائيل .
نيوزويك 4/12/1989، التايمز 5/12/1989 م

نقشبنديون !

قام البوليس في منطقة (لفكا) في قبرص التركية بمداهمة مكان لإقامة مريدين نقشبنديين وتم القبض على خمسة منهم عندما كانوا في ضيافة أحد شيوخ الطريقة . والخمسة المقبوض عليهم هم ، قبرصي تركي واسترالي وثلاثة من الألمان وجرم هؤلاء كان حيازة وتعاطي المخدرات .
وحسب تصريح مديرية البوليس فقد عثر في منزل شيخ الطريقة المخصص للضيوف على المخدرات التي كانت على شكل قوالب وسجائر . . وقد استمرت عملية المداهمة يومين واشترك فيها ثلاثون شرطياً ، وتم استجواب ستين شخصاً من المريدين وقد كانوا من جنسيات مختلفة .
جريدة قبرص التركية 21/8/1989 م

الحضارة المعاصرة ... الوجه الآخر

اميركا : الصَيف الأسْوَد

د . عبد الله أحمد عمر

قد لا يتصور الإنسان مدى معاناة الأمريكان السـود حتى تطأ قدماه الأرض الجديدة ، هذه المخلوقات البشرية التي كرمت لإنسانيتها ، تزهـق مـعـنـوياً ومادياً وأخلاقياً وصحياً في ما يعرف اليوم بالعالم الحر .. والمتقدم .
ولعل فترة الستينات من هذا القرن قد شهدت تحولاً كبيراً فـي أوضـاع السود . فلأول مرة يعترف بهم كآدميين ويسمح لهم بممارسة حقوقهم المدنية التي تثير دهـشـة كـثـيـر منا من الذين يحملون خلفية راقية لمفهوم الإنسان كما حدده المنهج القرآني ..
وأخـيــراً سمـح للأمريكي الأسود الذي استوطن الأرض الأمريكية لقرون بأن يركب نـفـس الحافلة ، ويأكــل فـي ذات الـمـطعم ، ويرسل أولاده إلى تلك

المدرسة التي ظلت مغلقة في وجهه مشرعة لذوي الدماء الزرقــاء "الـسـادة الـبـيض" وظل الرجل الأبيض البروتستانتي غالباً هو المسيطر على السلطة حتى اليوم مع إعطاء حق الضجيج والاعتراض أو ما يسمى بحرية الرأي للأقليات المستوطنة مع مشاركة لها في السلطة حسب اتجاه رياح المصلحة. ويمكن القول أن الأقلية الوحيدة المستفيدة من هيكل السلطة الأمريكية هي الجالية اليهودية .. لحسن تنظيمها وتوزيع الأدوار فيما بينها بين أقصى اليمين إلى أكثر فئات اليسار تطرفاً .. وبين القوى المتدينة بالمفهوم المسيحي / اليهودي ، أي بمفهوم العهد القديم ، إلى أكثر الأصوات ارتفاعاً في صف العلمانيين: الليبراليين .. ولعل سائلاً يتساءل: أين الأقلية الكبرى عن هذه الحمى .. أعني أين السود عن التأثير في مجرى الأحداث .. مع كونهم أكبر الأقليات وأقدمها على الصعيد الأمريكي .. والجواب يأتي من خلال الأحداث المتلاحقة التي شهدتها أمريكا هذا الصيف ، وبالذات نيويورك قلب أمريكا المتناقض فهي التي تحاول الإجابة عن هذا السؤال المحير .. ؟ ولتحدد قطعاً مدى "الحرية" "والمساواة" "والإنسانية" التي يرفع الغرب شعارها.
صدر التقرير الفدرالي لهذا العام ليقول : إن الأمريكي الأسود قد تقهقر دخله مقارنة بأوائل السبعينات .. ففي حين شهدت معظم الأقليات ازدهاراً اقتصادياً ؛ كان نصيب السود مزيداً من الفقر وأمراضه الفتاكة في مجتمع لا يقيم للإنسان قيمة إلا بقدر "القوة" التي كانت بصورة طلقات رصاص في عهد الأجداد من رعاة البقر . والتي أصبحت "الدولار" في عالم القرن العشرين . إن فهم عقلية الأمريكي مهم جداً. فمهما كانت شعارات الحرية ، والازدهار الحضاري براقة فإنها تحمل لغة واحدة للتفاهم .. "القوة" لقد أزاح الأمريكي الأول خصومه من الهنود الحمر بها .. وثبت أركانه كأقوى قوة دولية من خلالها .. هذا على صعيد الأمة ، أما الأفراد فإن القوة بشتى أشكالها كقوة التنظيم والضغط ، وقوة التحالفات ، وقوة المال بشكل خاص هي التي تصوغ مركز أي فرد علواً ونزولاً .. دع عنك كل تلك الشعارات الجميلة المهذبة .. فبقدر قوتك كفرد بقدر حاجة المجتمع من حولك لك ، بقدر الكسب الذي تحققه في الحياة العامة مهما كنت عنصرياً ، شريراً ، حاقداً أو مدمراً .. إن اللغة هنا ليست لغة التهذيب ، والتضحية والأخلاق .. هي ذات المفاهيم المتوحدة التي تأخذ صوراً متعددة غاية في السذاجة كقوة العضلات أو غاية التعقيد كقوة الضغط بشتى وسائله كما تتقنه بعض الشخصيات والأقليات التي فهمت بعمق العقلية الأمريكية العاشقة لهذا الاصطلاح .
وهكذا فإن السود قد عاشوا مرحلة "تآكل" بطيئة فغدوا خلالها سلاحاً مهماً من أسلحة المقارعة لخصوم أخذوا في التضخم والنمو .. من الناحية المتفق عليها .. مادياً . ولم يكن هذا التقرير سوى اعتراف رسمي بمدى الظلم المحيق الذي يعيشه الإنسان القلق في هذه القارة ما لم يدرك خفايا اللعبة ،

لقد دفع الفقر هذه الأقلية إلى الجريمة بشكل بدا منظماً ومبرمجاً حتى اقترنت الجريمة بصورة الرجل الأسود وأخذ زعماء الجريمة البيض يتلاشون تدريجياً من ذهن الأمريكي ليحل محلها مفتولو العضلات ، غلاظ الشفاة ، قساة القلوب من السود .
ولما عصفت مشكلة المخدرات بالمجتمع الأمريكي مؤخراً لتصبح الهم الأول لأمة ممزقة بمشاكلها الداخلية.. كان السود الأرض الخصبة لتسويق وترويج واستهلاك المخدرات هرباً من عالم قاس موحش لا يجدون فيه نافذة للأمل .. بينما وجد البعض فيه طريقاً لفرض مفهوم القوة من خلال الكسب الاقتصادي الضخم والسهل الذي تدره تجارة السموم.
ومن خلال التراكمات المتلاحقة أصبح لون البشرة مرتبطاً بسلوك مشين ، فكلما ازداد سواد البشرة قفز إلى الذهن بصورة تلقائية الجريمة ، والمخدرات ، والفقر ، والضياع .. من خلال تعميق الصورة عبر أجهزة الإعلام الموجهة ، وشهد الصيف المعركة الحتمية لذلك الصراع المتواصل وتلك الصورة المغروسة . . فالأمريكي الأبيض أصبح لا يريد أن يرى مجرد رؤية ذلك المخلوق المتوحش .. المجرم .. القذر .. وليس هناك أوضح من ذلك المثال الذي شهدته شوارع نيويورك في نهاية ليلة صيفية هادئة كان خلالها يوسف يبحث عن عنوان في حي غالب سكانه من البيض الذين رأوا في تواجده كارثة مزلزلة .
إنها خلايا "الميلانين" التي تلون ذلك لآخر ، وتصبغ صورته بتلك المشاهد المفزعة التي يراها "السيد" الأبيض من خلال وسائل الإعلام يومياً.
وشرع السيد الأبيض في استخدام سلاحه القانوني وزاده الظافر "القوة" في صورتها الساذجة عضلياً .. مما أودى بحياة الفتى الأسمر على أيدي أربعة من السادة المهذبين ، المتحضرين ، المتواضعين جداً .. واجتاحت الحي الأبيض مظاهرات السود تندد بالظلم .. ولكن قطعان السادة اعترضتها لتردد تلك المقولة السمجة "نحن لسنا عنصريين .. ولكننا لا نحب السود .. فقط ".
ولم يكن ذلك الصراع يأخذ جانباً واحداً ، فقد أطلقت صناعة السينما خلال الصيف الماضي شريطاً يختلف عن أشرطة الغثاء والعبث الشيطانية ، ذلك أن الشريط كتبه أحد السود وقام ببطولته وإخراجه وهو شاب في العشرينات من عمره ، لقد رأى أن يستخدم صورة من صور القوة المؤثرة . . "الإعلام" فأطلق شريطه المنعوت "بافعل الشيء الصحيح "Do the right thing"وخلاصته أن شاباً أسود يقتل على يد أبيض يملك مطعماً في حي غالب سكانه من السود .. الذين لا يحتملهم السيد الأبيض مما يعبر عنه من خلال تلك الجريمة .. الدامغة .. ولكن الشرطة التي يسيطر عليها السيد الأبيض تدافع عن المعتدي وتحميه من هؤلاء الرعاع .. فيثور الدم النافر في سكان الحي الذين يرون الظلم بأبشع أشكاله ينال من أعراضهم .. فيفعلون الأمر الصحيح

في رأي الكاتب وهو أن يثوروا على السلطة الغاشمة وأن يستخدموا العنف والقوة التي لا يعرف "السيد" سواها عنصراً للتفاهم.
لقد أثار الشريط موجة نقاش حادة خصوصاً أن نفس المفهوم الخاص بالقوة واستخدامها قد رفعه قبل ربع قرن المغدور به مالكوم اكس .. أو زعيم المسلمين السود الذي كــان يمـثـل خطراً على أساسات الصراع الذي يسيطر عليه السيد الأبيض فسقط مضرجاً بدمائه .. بعد أن عرف أصول اللعبة .
ويبدو أن تسلسل الأحداث قد دفع السود إلى إعادة التساؤل : "لماذا نحن ؟! ومن نكون ؟! وما هي هويتنا؟! وما العمل ؟!" وإن كانت تلك الأسئلة بديهية وأساسية فإنها تشهد عرضاً ملحاً وشهية مفتوحة للإجابة عليها .. لهؤلاء الذين جردوا من إسلامهم حينما جلبتهم سفن السيد المتحضر الذي عرف أن الرقيق المستعبد خطر عليه إذا حمل عقيدة .. مهددة لأصل حضارته .. فعمل بجد على تجريدهم من أهم أسلحة المواجهة .. وجعلهم نظرياً يحملون ذات الملة كأتباع في المعتقد كما هم أتباع في الرق .
ويظهر أن الإجابة واضحة وسهلة كما هي عميقة ومتشابكة بفعل ضعف الطرح الإسلامي القـوي الـذي يعـيـد لهذه الفئة كرامتها وعزها وجذورها .. لكن جزءاً من المخطط الذي يتكشف لأمريكا السوداء يحتاج إلى جهد عميق وعمل مثابر ..
وإن كانت الأحداث قد كشفت كثيراً من الأقنعة فإن الأسئلة الملحة تحتاج لأكثر من كشف أقنعة وفضح مخططات .. إنها تحتاج إلى توجه مباشر نحو الأسئلة الحادة التي يطرحها الإنسان المعذب عن هويته وأصله ومستقبله .
إن هذا المأزق الذي تعيشه الأقلية السوداء في أمريكا لشاهد عيان على الظلم الصارخ لهذه الحضارة المعاصرة وإدانة واضحة للمبادئ الجوفاء التي تتغنى بها أمريكا اليوم ، فهؤلاء القوم يحرمون من ممارسة حقوقهم المشروعة في ظل الهيمنة المبطنة للرجل الأبيض والتي تبدو شرعية في ظل قوانين المساواة التي تسطر على الورق.. أي أن عملية القهر تتم ضمن إطار الشرعية وحتى لو ارتفعت أصوات هؤلاء بالمساواة والمشاركة السياسية والاجتماعية لضمان حقوقهم فإنها لا يمكن أن تسفر عن واقع ملموس لأن الديمقراطية المزعومة تسمح للضحية برفع صوت الاستنكار والاحتجاج والمعارضة .. أما أن تتحول هذه الاعتراضات إلى قوة مضادة لدفع الهوان فهذا مالا يمكن أن يحدث حتى ولو لاكت الألسن شعارات الحرية والمساواة والانسانية التي تجيد استخدامها القوى المؤثرة في صنع القرار الأمريكي ، لأنها شعارات وهتافات ليس إلا ..

بأَقلام القرَّاء

* كتب الأخ ياسر عبد العزيز طاكشندي هذه الكلمة بعنوان :

يا إمامنا صل فإنك لم تصل

إن مسئولية الإمام بالمسجد مسئولية من المسئوليات الجسيمة التي لا يعيها كثير من الأئمة والـعـلـمـاء في عصرنا هذا ، بل ولا يعيرها في أيامنا هذه الكثير ممن يقـومـون بالإمـامـة أي اهتمام .
فإذا أردنا أن نلقي الضوء على أحد هذه الجوانب فأول ما يلفت انتباهنا هو الحديث الذي رواه الصحــابي الجليل أبو هريرة -رضي الله عنه- . قال : بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عـلـيـه وسلـم - إذ دخل رجل صلى فقام فسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : إرجـع فـصـل ، فـإنك لم تصل ، فعلها ثلاثاً ، ثم قال : والذي بعثك بالحق نبياً لا أحسن غير هذا فعلمـنـي . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حـتـى تـطـمـئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها .
وإذا ما نظرنا إلى موقف النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي ورد آنفاً فإنه رغم أن النبي كان جالساً مع أصحـابـه يحدثهم إلا أنه لم تفت عليه أن يراعي شئون المصلين في المسجد والنظر في صحة صلاتـهــم ، بـل ولم يكـتـف بذلك مرة بل فعلها ثلاث مرات وهو يراقب هذا الرجل .
والمتمعن في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصـحـبـه الكرام يجد أن القيام بمهام الإمامة ليس عبارة عن طقوس وحركات يؤديها الإمام ويكررها المأمومون خلفه ، بل يتعين عليه أن يراعي من هم حوله فهذا من مسئولياته وكما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . وهذه المسئولية تتفاوت بحسب القدرة .
فيجب على الإمام مراعاة شئون من حوله جميعاً سواء كانت ممـا يتـعـلـق بأمور الدين ، أو الدنيا ، ذلك لأن الإسلام لم يفرق بين أمور الدين والدنيا لأنه نظام حيـاة كامـلـة وشـامـلـة لأعـمـال الإنـسان المسلم في جميع أحواله ، وأطواره ، لكن الذي فرق أمور الناس بين دين ودنيا هم العلمانيون وجميع أعداء الإسلام، حتى صرنا مقتنعين بما أملاه الغرب - وأذياله من العلمانيين - علينا من التفرقة بين الدين والدنيا .
فهل لأئمتنا ولنا أن نعي الدور المنوط بنا تجاه ربنا ثم تجاه مجتمعنا الذي نعيش فيه ؟.

---

* ومن الأخ أحمد منصور المنصور من الرياض جاءتنا هذه المساهمة :

الكلام والعمل

لا تعجز اليوم أن تجد في الأمة متكلمين كثيرين يحـسـنـون تنـمـيـق الكلام ويتشدقون به ، ولكنك ستجد مشقة وعناء في الحصول على من يعمل بعلمه ، فهؤلاء وجودهم عزيز وهم في الأمة قليل ، وعلمهم حجة لهم لا عليهم ، وسواهم ممن لا يعمل بـعـلـمـه عـلـمـهـم حجة عليهم يوم القيامة .
ولـقـد كان سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- لا يتجاوزون العشر آيات من القرآن حـتـى يعرفوا معانيهن ويعملوا بهن ، وعلى هذا فالاقتصاد في الوعظ من هدي النبي - صلى الله عليه وسـلـم - ، فـعـن أبي وائل شقيق ابن سلمة قال كان ابن مسعود -رضي الله عنه- يذكرنا في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، فقال : أما إنه يمنـعـنـي من ذلك أني اكره أن أملكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بها مخافة السآمة علينا . متفق عليه .
وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر -رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:»إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، وأقصروا الخطبة« رواه مسلم .
فانظر رحمك الله كيف جـعــل النبي - صلى الله عليه وسلم - طول صلاة الرجل وكثرة عمله ، وقصر خطبة وقلة كلامـه ؛ علامة على فقهه ، وما أكثر تعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته وأمره إياهم أن يفعلوا فعله في مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : »صلوا كما رأيتموني أصلي« وقوله - صلى الله عليه وسلم- : »خذو عني مناسككم« ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)) .
فهل يعي هذا المسلمون عامة والدعــاة مـنـهم خاصة ، فرب داعٍ إلى الله بخلقه وعمله قبل دعوته لهم بكلامه ومثل هذا دونه خرط الـقـتـاد ، فـنـحن اليوم أحوج ما نكون إلى أمثال هؤلاء ، إلى من يكون قدوة حسنة تتمثل فيه تعاليم الكتاب والسنة كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، نسأل الله -عز وجل- أن يمن على الأمة بأمثال هؤلاء إنه جواد كريم .

الصفحة الأخيرة

الشكلية

عبد القادر حامد

إن الشكلية جسم بلا روح، ففي الأعمال؛ إذا لم يكن هناك إخلاص؛ يفـقـد الـعمل قيمته وتأثيره، فالإخلاص هو روح كل عمل ، العبادة - مثلاً - إذا لم تكن قائمة علـى إخلاصها لله ، وتنبثـق من تحرير القصد له وحده -عز وجل- لاتقبل

ولا تثمر أثراً ، وتصبح مجرد حركات عضلـية وتمتمات لسانية قد ينخدع بها من يراها، ولكن الله تعالى لا يعدها شيئاً، ولا يعبأ بصاحبها ولا يقيم له وزناً .
وقل مثل ذلك في المبادئ ؛ كل مبدأ له حقيقة هي روحه ، خذ الديمقراطية التي يتـغـنـى بهــا الكثير من المسلمين ، ويتصورونها المنقذ ، فقد استوردوا شكلها ولم يستطيعوا استيراد روحها،(ربـمـا لـغـرابــة هــذه الــروح عن محيطهم في أصل منشئها!) فصار عندهم قانون انتخاب ، وأبنية يطلق عليها اسم البرلمانات أو مجالس الشعب أو الأمة ، وأشخاص يطلق عليهم اسم نواب وممثلين، ومعارك انتخابية، وصناديق و بطاقات اقتراع، وغـيـرهــا مــن مفردات الديمقراطية ، ولجان برلمانية ، وقوانين تقدم لإقرارها أو رفضها .
إن كل أشكال ورموز الديمقراطية قد تجدها هنا،أو هناك في عالمنا العربي والإسلامي،ولكن شيئاً واحداً مفقود لا تحس له ظلاً، ولا تـشـم لـه رائـحــة وهــو الـروح فـي هذه المفردات والأشكال، الروح التي توفر الكرامة، وتلبي الرغبة المشروعة ، وترفع الرؤوس التي كادت تعتاد الانحناء من تواتر الظلم والقهر .
وإذا انفقت عمرك تبحث عن هذه الروح المفقودة فلن تجدها ، لأن ما اسـتوردناه في الأصل اسـتـوردناه جسداً بلا روح ، وكنا مثل بني إسرائيل حينما أتوا على قوم يـعـكـفـون عـلـى أصـنـام لهـم ، ((قَـالُـوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إلَهاً وهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى العَالَمِينَ)) [الأعراف:138-140]

تمت بعون الله ، والحمد لله
